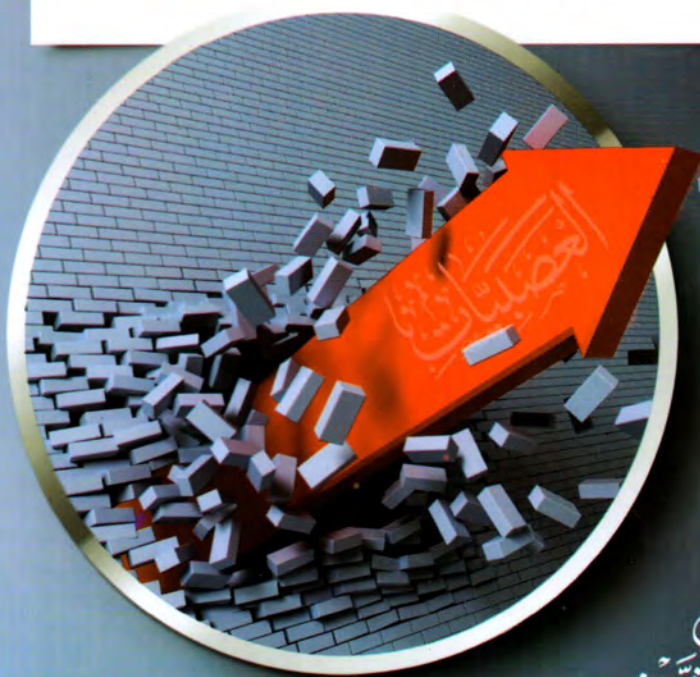


التَّحْذِيرُ مِنْ ضَرَرِ الْعَصَبِيَّاتِ

وَأَشْرُهَا السَّيِّئُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ



تأليف
فضيلة الشيخ
عابد بن خليف الشمرى

المنهج

مكتبة دار المسلمات



إضغط على
الرابط التالي
هنا

scannerbooks.blogspot.com

لمزيد من الكتب

التَّحْذِيرُ مِنْ ضَرَرِ الْعَصَائِدِ
وَأَرْبَ مَا الرَّيُّ عَلَى الْحَيَاتِ

مَقُودُ الطَّبْعِ مَقُودًا الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ١٤٠٦٠ / ٢٠١٥

دار المنهج

٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣
E-mail: daralmenhaj@hotmail.com
daralminhai@yahoo.com

مكتبة زاد المسلم

صناعية هيلي - مقابل حدود البريمي - العين - الإمارات
أرضي: ٠٣٧٦٢٣٣٣٦ / واتساب: ٠٩٧١٥٠٦٧٥٨٨٥٥
تويتر: <https://twitter.com/ZadMuslim>
انستجرام: http://i.instagram.com/zad_book/
تليجرام: <https://goo.gl/Yv2sLc>

التَّحْذِيرُ مِنْ ضَرِّ الْعَصَبِيَّاتِ

وَأَثَرُهَا السَّيِّئُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ

تأليف
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
عَبْدِ بْنِ خَلِيفِ الشُّمَيْرِيِّ

الطبعة الأولى

مكتبة دار المسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ رَحْمَةً لِلْأَنَامِ، وَجَعَلَ دِينَهُ ظَاهِرًا عَلَى جَمِيعِ الْأَذْيَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي جَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ؛ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالسِّيفِ، وَالسِّنَانِ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَأَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِنُصْرَةِ دِينِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَالسَّالِكِينَ سَبِيلَهُمْ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ، جَلَّ فِي عُلَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى إِقَامَةِ الْعِلَاقَاتِ الطَّيِّبَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَمَ هَذِهِ الْأَوَاصِرَ الْأَخَوِيَّةَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ، وَجَعَلَ أَسَاسَ ذَلِكَ أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ، لَا نَعْرَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا الْعَصَبِيَّاتِ الْقَبَلِيَّةِ.

وَرَسُولُنَا الْعَظِيمُ ﷺ أَقَامَ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَأَنَّهَا يَجِبُ أَنْ تُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ الْأَعْتِبَارَاتِ الْأُخْرَى، وَلِذَلِكَ آخَى ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ

والأنصار، وبين الأوس والخزرج، وعمل على تثبيت هذه الأخوة، ومن ذلك قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تقوي هذه الأخوة الإيمانية.

ولقد أينعت هذه الأخوة، وآتت أكلها أضعافاً مضاعفة، وكان من نتائجها وثمارها أن صار المسلمون أمةً واحدةً، تنكفاً دماً وُهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم^(٣)، فكانوا قوة؛ لأنهم نفذوا أمر الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولكن أعداء الأمة لم يرق لهم ما رأوه من تماسكها، فحاولوا إثارة النعرات القبلية، والعصبيات الجاهلية بين أبنائها، وجاهدوا لتمرير وخصميتهم.

وقد استجاب لذلك من الأمة بعض ضعاف الإيمان والنفوس، فأثيرت

(١) أخرجه البخاري (١٣) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (٤٥) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرج أبو داود (٢٧٥١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تنكفاً دماً وُهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مُشدّهم على مُضعفهم، ومُسَرَّيهم على قاعدتهم، لا يُقتل مؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عهدٍ في عهده»، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٤٧٥).

الْعَصِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَصْبَحَ افْتِخَارُ الْمُسْلِمِ بِالْقَبِيلَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا، وَضَعُفَ رَابِطُ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ الْأَنْسَابَ وَالْمَرَاتِبَ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، وَحَسَّنَ صُورَتَهُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ؛ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وَشَرَفُ النَّسَبِ أَوْ ضَعْفُهُ ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وَلَا حَرَجَ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِ أَنْ يَغْتَنِي بِنَسَبِهِ، وَأَنْ يَعْرِفَ مَكَانَةَ بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَذَلِكَ فِي حُدُودِ مَا أَبَاحَ الشَّرْعُ مِنَ التَّعَارُفِ؛ قَالَ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَهَذَا بِشَرْطِ أَلَّا يَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ تَعَدُّ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَازْدِرَائِهِمْ وَبُغْضِهِمْ.

وَقَدْ كَانَ الْإِمَامُ الْبُزْهَرِيُّ عِنْدَهُ كِتَابٌ جَمَعَ فِيهِ نَسَبَ آلِ زَهْرَةَ، قَالَ قُرَّةُ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «لَمْ يَكُنْ لِلزُّهْرِيِّ كِتَابٌ إِلَّا كِتَابٌ فِيهِ نَسَبُ قَوْمِهِ»^(١).

هَذَا، وَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَذَمِّهَا أَشَدَّ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٣٣٣).

الدَّم؛ قَالَ ﷺ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبَيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ^(١)، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمٍ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ^(٢) الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»^(٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمَيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً»^(٤).

وَفِي الْبُخَارِيِّ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَدَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ يُنَادِي: يَا لِلْأَنْصَارِ! فَرَدَّ عَلَيْهِ أَحَدُ الْمُهَاجِرِينَ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ^(٥) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»^(٦)»^(٧).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدُّعَاءُ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَالتَّعَزِّي بِعِزَائِهِمْ، كَالدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّةِ لَهَا وَلِلْأَنْسَابِ، وَمِثْلُهُ التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ،

(١) أي: نخوتها، وكبرها، وفخرها، وتعاضلها.

(٢) الجعلان: جمع جعلل: دُوبية سوداء، تُدير العذرة بأنفها.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٤٨٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٠) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أي: ضرب دُبره بيده.

(٦) أي: مذمومة في الشرع، مُجْتَنَبَةٌ مَكْرُوهَةٌ.

(٧) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالطَّرَائِقِ، وَالْمَشَايِخِ، وَتَفْضِيلُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ بِالْهَوَى وَالْعَصِيَّةِ، وَكَوْنُهُ مُتَسَبِّبًا إِلَيْهِ، فَيَدْعُو إِلَى ذَلِكَ، وَيُوَالِي عَلَيْهِ، وَيُعَادِي عَلَيْهِ، وَيَزِنُ النَّاسَ بِهِ، كُلُّ هَذَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ^(١).

والتَّعَصُّبُ الْمَذْمُومُ لَهُ صُورٌ وَأَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، تَارَةٌ يَكُونُ لِلْجِنْسِ، وَتَارَةٌ لِللُّغَةِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِلْعَشِيرَةِ وَالْقَبِيلَةِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِلْبَلَدِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِلْمَذْهَبِ وَالطَّرِيقَةِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِلشَّيْخِ، فَكُلُّ غُلُوٍّ فِي الْوَلَاءِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ دَاخِلٌ فِي مَعْنَى التَّعَصُّبِ الْمَذْمُومِ الْمَنْهِي عَنْهُ شَرْعًا، وَالنَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ نَسَبٍ، أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ، أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ، فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢).

والتَّعَصُّبُ مِنْ سِمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تَتَحَاكَمُ لِلْعَادَاتِ وَالْأَعْرَافِ، وَتَقْدِمُهَا عَلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزِيعٌ فِي أَمْنِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطُّغْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»^(٣).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ التَّعَصُّبَ الْجَاهِلِيَّ بِجَمِيعِ أَشْكَالِهِ وَصُورِهِ مَذْمُومٌ شَرْعًا، وَهُوَ دَاءٌ خَطِيرٌ خَفِيٌّ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي مَقْتَلِهِ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّيِّ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ فِيمَا يُخَالِفُ الْوَلَاءَ، كَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ الْحَسَدُ وَالرِّيَاءُ وَسَائِرُ الْأَدْوَاءِ.

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤٣١/٢).

(٢) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» (ص ٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالوَاجِبُ عَلَى مَنْ ابْتَلَى بِذَلِكَ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ، وَيُدَاوِيَهُ، وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ لِيَلْقَى رَبَّهُ مُوَحَّدًا فِي وَلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِ لَهُمَا خَالِيًا مِنَ الْقَوَادِحِ وَالشُّبُهَاتِ.

أَمَّا مَحَبَّةُ الْمَرْءِ لِقَبِيلَتِهِ، وَعَشِيرَتِهِ، وَبَلَدِهِ حُبًّا مُعْتَدِلًا، لَا يَحْمِلُهُ عَلَى الظُّلْمِ، وَلَا يُوقِعُهُ فِي التَّفْرِيطِ بِحَقِّ اللَّهِ، فَلَا إِفْرَاطَ، وَلَا تَفْرِيطَ، وَلَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَهَذَا حُبُّ طَبِيعِيٍّ فِطْرِيٍّ غَرِيزِيٍّ لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُ إِنْسَانٌ.

وَلَكِنْ مِيزَانُ اللَّهِ ﷻ هُوَ التَّقْوَى؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ أَكْرَمِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاهُمْ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ نَسْأَلُونِي». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»^(١).

فِتَقَوَى اللَّهُ ﷻ يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ وَلَايَةُ اللَّهِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٦)﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِييَ اللَّهِ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ»^(١).

ولذلك، فَإِنَّ النَّسَبَ الشَّرِيفَ، أَوْ الْحَسَبَ الرَّفِيعَ بِدُونِ تَقْوَى اللَّهِ ﷻ لَا يَنْفَعُ، وَالنَّسَبُ الْوَضِيعُ مَعَ وُجُودِ التَّقْوَى أَفْضَلُ وَأَشْرَفُ مِنَ النَّسَبِ الرَّفِيعِ بِدُونِ تَقْوَى؛ فَهَذَا بِلَالُ الْحَبَشِيِّ لَمَّا أَسْلَمَ وَحَقَّقَ التَّقْوَى لِلَّهِ، رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ، بَلْ وَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ دَفَّ نَعْلَيْهِ فِي الْجَنَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بَلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلِكَ بَيْنَ يَدَيِ فِي الْجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ^(٢).

وَهَذَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ابْنُ الْإِسْلَامِ لَمَّا خَالَطَ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ، رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَفِي الْمُقَابِلِ أَبُو لَهَبٍ الْفُرَشِيُّ لَمَّا كَفَرَ وَطَفَى، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْزَلَ فِيهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ (٥)﴾ [المسد].

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لِعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ فَلَا تَتْرِكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩)، و«دَفَّ نَعْلَيْهِ»: يعني صوت تحريكهما.

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشرك الشريفَ أبا لهبٍ (١)
ويقول أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحُبك للدنيا هو الفقر والعَدَم
وليس على عبدٍ بقي نقيصةٌ إذا صحح التقوى وإن حاك أو حَجَم
ولمَّا فاخره رجلٌ من كنانة، واستطال الكناني بقومٍ من أهله، فقال أبو
العتاهية:

دعني من ذكرٍ أبٍ وجَدٍّ ونَسبٍ يُعليك سُورَ المجد
ما الفخرُ إلَّا في التقى والزهد وطاعةٌ تُعطي جنان الخلد (٢)
هَذَا، وقد بينَ فضيلةُ الشيخ عابد السمرى -حَفَظَهُ اللهُ- في هذه المُحَاضَرة:
«التَّحذِيرُ من ضَرَرِ العَصَبِيَّاتِ، وأثرها السَّيِّءُ عَلَى المُجْتَمَعِ» أَنَّ التَّعَصُّبَ لَهُ
أَضْرَارٌ كَثِيرَةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، مِنْهَا:

١- ضَعْفُ الْعَقِيدَةِ، وَالْوَلَاءُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

٢- الْوُقُوعُ فِي الظُّلْمِ، وَاسْتِباحَةِ الْأَعْرَاضِ، وَإِضَاعَةُ حُقُوقِ الْآخَرِينَ.

٣- ازْدِرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَانْتِفَاصِهِمْ، وَالْحَطُّ مِنْ قَدْرِهِمْ.

٤- التَّقَاخُرُ وَالْكِبَرُ وَالْخِيَلَاءُ مِنَ الْمُتَعَصِّبِ.

٥- إِذْكَاءُ رُوحِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

(١) يراجع: «مجمع الحكم والأمثال».

(٢) انظر «ديوان أبي العتاهية».

٦- نُشِوبُ الْفِتَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعْطِيلُ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ.

وَقَدْ قُمْنَا فِي «دَارِ الْمِنْهَاجِ» عَلَى إِعْدَادِ هَذِهِ الْمُحَاضَرَةِ لِلنَّشْرِ، ثُمَّ أَلْحَقْنَا بِهَا بَعْضَ كَلَامٍ وَقَتَاوَى كِبَارِ الْعُلَمَاءِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْخَطِيرَةِ، وَذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِيَعُمَّ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ، وَذَلِكَ وَفَقِ الْخُطُوبَاتِ التَّالِيَةِ:

١- تَفْرِيعُ الْمُحَاضَرَةِ، وَمُقَابَلَتُهَا عَلَى الْمَادَّةِ الصَّوْتِيَّةِ مَرَارًا؛ لِتُجَنَّبَ أخطاءُ السَّمَاعِ وَالْوَهْمِ، وَلِتَخْرُجَ الْمُحَاضَرَةُ فِي أَقْرَبِ صُورَةٍ أَرَادَهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ.

٢- مُرَاجَعَتُهَا مُرَاجَعَةً لُغَوِيَّةً دَقِيقَةً.

٣- إِبْطَاتُ كَلَامِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ عَايِدِ الشُّمَرِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ- كَمَا هُوَ بَنَصُّهُ، إِلَّا مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي التَّفْرِيعِ مِنْ حَذْفِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ، أَوِ الْجُمْلِ الْمُكَرَّرَةِ، أَوِ إِعَادَةِ تَرْتِيبِ لِبَعْضِ الْجُمْلِ، أَوِ إِضَافَةِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ؛ لِإِضَاحِ الْمَعْنَى، وَاسْتِقَامَتِهِ، وَهَذَا فِي الْغَالِبِ قَلِيلٌ جِدًّا.

٤- تَشْكِيلُ مَا يُشْكَلُ فِيهِ؛ وَمَا يُبْرَزُ مَعْنَاهُ وَيُجَمِّلُهُ، وَإِخْصَاعُهُ لِعَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ، وَتَقْسِيمُهُ إِلَى فِقَرَاتٍ، وَتَنْسِيقُهُ وَفَقَّ الْأَسَالِيبِ الْحَدِيثَةِ فِي الطَّبَاعَةِ.

٥- إِبْطَاتُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ، وَعَزْوُهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا فِي الْمُضْحَفِ الشَّرِيفِ.

٦- تَخْرِيجُ الْأَحَادِيثِ بِمَنْهَجِ مُوَحِّدٍ، وَقَدْ اعْتَمَدْنَا فِي التَّخْرِيجَاتِ عَلَى كُتُبِ الْحَدِيثِ ذَاتِ التَّرْقِيمَاتِ الْمُعْتَمَدَةِ؛ كَتَرْقِيمِ «مُحَمَّدُ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي رَحِمَهُ اللهُ»، وَقَدْ اِكْتَفَيْنَا بِتَخْرِيجِ الْحَدِيثِ إِنْ كَانَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، أَوْ فِي أَحَدِهِمَا بِذِكْرِ رَقْمِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِمَا ذَكَرْنَا رَقْمَهُ، أَوْ رَقْمَ الْجُزْءِ وَالصَّفْحَةِ، ثُمَّ أَوْرَدْنَا

عَلَيْهِ - فِي الْغَالِبِ - حُكْمُ الْعَلَامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- إِضَافَةُ بَعْضِ التَّعْلِيلَاتِ الْمُهِمَّةِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِيَكْتَمِلَ الْمَعْنَى، وَيَتَّضِحَ الْمَقْصُودُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ عَايِدِ الشُّمَرِيِّ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا يُقَدِّمُهُ مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ فِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِ.

وَاللَّهُ ﷻ بِيَدِهِ وَخِذَهُ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ وَالسَّدَادُ، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

وصلی اللہ علی نبینا محمد، وعلی آلہ وصحبہ أجمعین

سَمِعَ الْحَقِيقِي وَالْمُحَمَّدي الْعِلْمِي
بِـ "دَارِ الْمُنْهَاجِ"

التحذير
من ضرر العطفيات
وأثرها السيئ على المجتمع

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١)

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِذَعَةٍ، وَكُلُّ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله:

اتَّقُوا اللَّهَ ﷻ، وَذَلِكَ بِالْإِزَامِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وَاعْلَمُوا -يَا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّهُ مَا مِنْ خَيْرٍ لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ وَفِي دُنْيَاكُمْ إِلَّا وَأَمَرَكُمُ اللَّهُ ﷻ بِهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ إِلَّا وَحَذَرَكُمُ ﷻ مِنْهُ^(١).

وإنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- قَدْ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فَبَيَّنَ ﷻ أَنَّ الَّذِي يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا (أي: مِنْ غَيْرِ جِنَايَةٍ يُقَامُ عَلَيْهِمُ الْحَدُّ فِيهَا، أَوْ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي لَهَا عُقُوبَاتٌ فِي الشَّرْعِ، يُقِيمُهَا عَلَيْهِمْ وَلِيُّ الْأَمْرِ)، فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا.. هَذَا الَّذِي يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ.

(١) قال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۖ﴾ [النحل: ٨٩].

وأخرج البزار في «مسنده» (١٧٠/٦)، عن سلمان ﷺ قال: قال له بعض المشركين وهم يسخرون: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ عَلَّمَكُمْ حَتَّى عَلَّمَكُمْ الْخَرَاءَ. فقال سلمان: «أجل، أمرنا ألا نستقبل القبله، ولا نستنجي بأيماننا، ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع، ولا عظم».

فَلَوْ آدَى الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ بِقَوْلِهِ أَوْ بِفِعْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَبِلِّ لِكُلِّ هُمْزٍ لُحْمَةٌ﴾ (١) [الهمزة: ١].

و«اللُّحْمَةُ»: هُوَ الَّذِي يُؤْذِي إِخْوَانَهُ بِالْقَوْلِ.

وَأَمَّا «الْهُمَزَةُ»: فَهُوَ الَّذِي يُؤْذِيهِم بِالْجَوَارِحِ الْآخَرَى.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ﷻ فِي إِخْوَانِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١) [الحجرات: ١١].

وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ﷻ فِي لِسَانِهِ، فَلَا يُؤْذِي إِخْوَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَسْخَرُ مِنْهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (١).

(١) أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومسلم (٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ» الألف واللام فيها للكمال.

والمعنى: أن المسلم الكامل في إيمانه ودينه هو مَنْ حسنت معاملته للناس ابتغاء مرضاة الله، فحافظ على حُقوق خلقه، وكفَّ أذاه وشره عن عباده، وآمن يقيناً أن الدين المعاملة، فعامل الناس بالحسنى، ولم يتعدَّ على أحدٍ منهم بلسانه أو يده، ولم يؤذِ إنساناً بقوله أو فعله. والفراد من الحديث: أن المسلم الكامل هو مَنْ سَلِمَ المسلمون من إيذائه لهم، وعدوانه عليهم بأيّ عضوٍ من أعضائه، سواء كان لساناً، أو يداً، أو رجلاً، أو غيرهما، ونَجَزَا من شروره. وإنَّما خُصَّ اللسان واليد؛ لكثرة أخطائهما وأضرارهما، فإنَّ معظم الشرور تُصدر عنهما، فاللسان يكذب ويغتاب، ويسبُّ ويشتم، ويأتي بالنميمة، وشهادة الزور، واليدُ تضرب وتقتل، وتسرق، إلى غير ذلك.

قال القاري: «وقدَّم اللسان؛ لأنَّ الإيذاء به أكثر وأسهل، وأشدَّ نكايَةً، ويعم الأحياء والأموات

وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِ أَخِيهِمُ الْمُسْلِمِ، فَلَا يَقَعُ فِي غِيْبَتِهِمْ، وَلَا فِي نَمِيمَةٍ لَهُمْ، وَلَا يَقَعُ فِي طَعْنٍ فِي أَنْسَابِهِمْ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»^(١).

جميعاً، وإنما اهتمَّ الإسلام بكفِّ الأذى عن الناس لتوثيق الروابط الاجتماعية بينهم، وصيانة المجتمع عن كل ما يؤدي إلى التفكك والتقاطع والتدابير. انظر «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» (١/ ٨٦).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٣٢-٢٣٤): «الإيذاء يشمل الإيذاء بالقول، والإيذاء بالفعل، والإيذاء بالترك، أما الإيذاء بالقول فأن يُسمع أخاه كلاماً يتأذى به، وإن لم يضره، فإن ضرره كان أشد إثمًا، والإيذاء بالفعل أن يُضايقه في مكانه، في جلوسه، في طريقه، وما أشبه ذلك.

والإيذاء بالترك أن يترك شيئاً يختار منه أخوه المسلم، فيتأذى به وإن كان لا بدَّ كل هذا محرم، وعليه هذا الوعيد الشديد، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِغْوَاءً مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، «احْتَمَلُوا»، يعني: تحمّلوا على أنفسهم البهتان، وهو الكذب والإثم المبين، وهو العقوبة العظيمة، نسال الله العافية.

وفي قول الله تعالى: ﴿بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾ دليل على أن لو أذَى الإنسان باكتسابه (أي: على عمل حق أن يؤذى عليه)، فإنه لا بأس به، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء: ١٦]. والإيذاء بحق لا بأس به، ومن ذلك أن يكون الرجل يكره الحق، ويكره الخير، فتفعل الحق، فيتأذى به، فهذا تأذى بحق؛ لأن بعض الناس -والعياذ بالله- يتأذى إذا رأى رجلاً متمسكاً بالسنة.

وقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ»، وذلك بألا يلعنهم، ولا يسبهم، ولا يشتمهم، ولا يفتابهم، ولا ينم فيهم، كل آفات اللسان المتعلقة بالخلق قد كفها، فسلم الناس منه». انظر «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (١/ ٢٣٤).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٤٩١) (١٩٢)، من حديث عبد الله بن

وَعَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِي الْجُمْلَةِ: أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِخْوَانِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ
 أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].



خطورة الطعن في الأنساب

وَأَنَّ مِنَ الْإِيذَاءِ - وَمِنَ الْإِيذَاءِ الْعَظِيمِ - الطُّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كَفَرٌ: الطُّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

وقد اختلفت الأقوال في معنى «الكفر» هنا، فقال التَّوَيْ في «شرح مسلم» (٥٧/٢): «وفيه أقوال، أصحها:

«الاول]: أَنْ مَعْنَاهُ: هُمَا مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ، وَأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ.

والثاني: أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ.

والثالث: أَنَّهُ يَمْحُورُ النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ.

والرابع: أَنَّ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَحِيلِ.

وفي هذا الحديث تغليظُ تحريم الطُّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَصُوصٌ».

وأما «النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»: فَهِيَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ أَوْ الرِّجَالُ أَيْضًا، لَكِنَّ النِّسَاءَ أَكْثَرُ، عَلَى شِبْهِ مَا تَنَوَّحَ الْحَمَامَةُ، يَعْنِي: يَأْتِينَ بِالْبَكَاءِ بَرْنَةً مَعْرُوفَةً، وَهَذَا حَرَامٌ، وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمْعَةَ.

وَمِنَ النَّيَاحَةِ: مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ الْيَوْمَ، حَيْثُ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ الْمَيِّتِ، وَيُؤْتَى إِلَيْهِمْ بِالطَّعَامِ، أَوْ يَصْنَعُونَ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمْعَةَ، وَهَؤُلَاءِ نَوَاحٍ؛ لِحَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الْاجْتِمَاعَ فِي بَيْتِ الْمَيِّتِ، وَصُنْعَ الطَّعَامِ مِنَ النَّيَاحَةِ». [أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٦١٢)]، وَهُوَ صَحَابِي جَلِيلٌ

هَذَا يُبَيِّنُ لَنَا خُطُورَةَ الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ، وَهَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «اِئْتَنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كَفْرٌ».

وَمَعْنَى: «كُفْرٌ»؛ أَي: إِنَّهَا كَبِيرَةٌ، وَمِنْ أَغْظَمِ الْكَبَائِرِ، بَحِثْ إِنَّهَا سُمِّيَتْ: كَفْرًا، نَسَأَلُ اللَّهَ ﷻ السَّلَامَةَ.

وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِ وَالْمُؤْمِنِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ».

وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ قَدْ أَوْقَعَ الْإِنْسَانَ فِي الشُّخْرِيَّةِ، وَاللَّهُ ﷻ نَهَى عَنْ أَنْ يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ؛ قَالَ: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، بَلْ وَقَالَ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

وَمَنْ طَعَنَ فِي الْأَنْسَابِ، لَمْ يَسْلَمْ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١).

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ فِيهِ اخْتِفَارُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ

معروف، فالصحابه يرون أن هذا من النياحة، ولهذا ينهى أهل الميت إذا مات أن يفتحوا أبوابهم للعزاء؛ لأن ذلك منكر وبدعة، فالصحابه ما كانوا يفعلون ذلك، ثم هو فيه نوع من الاعتراض على قضاء الله وقدره، والواجب على الإنسان الرضا والتسليم، وأن يتقن بابهُ مُغْلَقًا». انظر «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٦/ ٢٦٥).

(١) أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومسلم (٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

النَّبِيُّ ﷺ: «بَحْسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(١).

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ فِيهِ الْكِبَرُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ؛ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢).

و«غَمَطُ النَّاسِ»، أَي: اخْتِقَارُهُمْ، وَازْدِرَاؤُهُمْ بِأَيِّ تَوَعٍّ مِنْ أَنْوَاعِ الْاِخْتِقَارِ، وَفِي أَيِّ تَوَعٍّ مِنْ أَنْوَاعِ الْاِزْدِرَاءِ.

وَرَأْسُ ذَلِكَ: الطَّعْنُ فِي أَنْسَابِهِمْ، وَفِي أَصُولِهِمْ، وَفِي قَبَائِلِهِمْ، وَفِي عَوَائِلِهِمْ، وَفِي بُلْدَانِهِمْ، وَفِي جَنَسِيَّاتِهِمْ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْكِبَرِ؛ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(٣)، فَكَيْفَ بِالَّذِي حَيَاتُهُ كُلُّهَا كِبَرٌ فِي كِبَرٍ، وَلِسَانُهُ دَائِمًا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «بَحْسَبِ امْرِئٍ»: «بِعَيْنِي يَكْفِي الْمُؤْمِنُ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، وَهَذَا تَعْظِيمٌ لِاحْتِقَارِ الْمُسْلِمِ، وَأَنَّهُ شَرٌّ عَظِيمٌ، لَوْ لَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانُ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا هَذَا، لَكَانَ كَافِيًا، فَلَا تَحْقِرَنَّ أَحَاكَ الْمُسْلِمَ، لَا فِي خِلْقَتِهِ، وَلَا فِي ثِيَابِهِ، وَلَا فِي كَلَامِهِ، وَلَا فِي خُلُقِهِ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، أَخْوَكُ الْمُسْلِمِ حَقُّهُ عَلَيْكَ عَظِيمٌ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِمَهُ، وَأَنْ تُؤَقِّرَهُ، وَأَمَّا احْتِقَارُهُ فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْتَقِرَهُ». انْظُرْ «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٦/٢٦٠).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «بَطَرُ الْحَقِّ»: دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ؛ تَرْفَعًا وَتَجَبُّرًا.

(٣) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَسَرِ الْكِبَرُ وَالْبَغْيُ يَبْطَرُ الْحَقَّ، وَهُوَ التَّكَبُّرُ عَلَيْهِ، وَالْاِمْتِنَاعُ مِنْ قَبُولِهِ كِبَرًا إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ، وَمِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: التَّوَاضَعُ أَنْ تَقْبَلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا، فَمَنْ قَبِلَ الْحَقَّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ، سَوَاءً كَانَ صَغِيرًا، أَوْ كَبِيرًا،

يَطْعَنُ مُتَكَبِّرًا فِي الْآخَرِينَ، وَفِي قَلْبِهِ كِبَرٌ عَلَى الْآخَرِينَ، أَيْنَ يَذْهَبُ مِنَ اللَّهِ ﷻ؟

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ أَيْضًا يَكُونُ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(١)، فَالَّذِي يَطْعَنُ فِي نَسَبِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَسُبُّ أَبَاهُ، وَجَدَّهُ، وَعَائِلَتَهُ، وَأَسْرَتَهُ، وَقَبِيلَتَهُ، فَهُوَ قَدْ أَخَذَ إِيَّاهُمْ هَوْلًا جَمِيعًا، وَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ بِسَبِّ سَبِّهِمْ، وَالطَّعْنُ فِي أَنْسَابِهِمْ.

فَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ عَظِيمٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فَاللَّهُ ﷻ قَدْ جَمَعَنَا عَلَى الْإِيمَانِ.

وَقَدْ أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ^(٢).

وسواء كان يحبُّه أو لا يحبُّه، فهو متواضعٌ، وَمَنْ أَبَى قَبُولَ الْحَقِّ تَعَاظَمًا عَلَيْهِ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ. و«غَطَّ النَّاسَ»: هُوَ احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَائُهُمْ، وَذَلِكَ يَخْصُلُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ بَعَيْنِ الْكَمَالِ، وَإِلَى غَيْرِهِ بَعَيْنِ النِّقْصِ. انظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٠٧).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٩٣) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (بَابُ إِخَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، ثُمَّ أَخْرَجَ بِرَقْم (٣٧٨٠) حَدِيثَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا قَدَّمُوا الْمَدِينَةَ، أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسَمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَاَنْظُرْ أَعْجِبُهُمَا إِلَيْكَ، فَسَمَّهَا لِي أَطْلَقَهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سَوْقُكُمْ؟ فَدَلَّوْهُ عَلَى سَوْقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْغَدُو، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صَفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهِيمٌ». قَالَ: تَزَوَّجْتَ. قَالَ: «كَمْ سَقَتْ إِلَيْهَا؟». قَالَ: نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ.

وَأَخْرَجَ (٣٧٨١)، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «قَدَّمْنَا عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَخَى

وَرِبَاطُ أُخُوَّةِ الْإِيمَانِ هُوَ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ الْقُرَشِيِّ وَبِلَالِ الْحَبَشِيِّ، وَصُهْبِ
الرُّومِيِّ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ.

وَلِذَلِكَ، لَمَّا عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ بِلَالًا بِأُمِّهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ السَّودَاءِ! قَالَ لَهُ
النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمْتَ الْأَنْصَارَ أَنِّي
مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَاظْطَرُّ أَعْجِبَهُمَا إِلَيْكَ
فَأُطْلِقْهُمَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوُّجُهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ
حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ
صَفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهِيمٌ». قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ «مَا سَقَتْ
إِلَيْهَا؟». قَالَ: وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ - فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠)، وَمُسْلِمٌ (١٦٦١).

وقوله ﷺ: «فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، أَي: خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ التَّفَاخُرُ بِالْأَبَاءِ.
وَالْمَعْنَى: قَدْ بَقِيَ فِيكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْقَوْمِ، لِأَنَّ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عُقُوبَةٌ مَنْ لَمْ يَجْنِ، وَالشَّرِيعَةُ لَا
تَقْتَضِي ذِمَّ شَخْصٍ. انْظُرْ «كُشْفَ الْمَشْكَلِ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (١/٣٦٢).
وَالْمَعْنَى الْإِجْمَالِي لِلْحَادِثَةِ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَاصَمَ مَعَ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَابَهُ بِأَن وَصَفَ أُمَّهُ
بِالسَّوَادِ، وَخَالَفَ بِذَلِكَ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ، وَلَا تَفْضِلُ إِنْسَانًا عَلَى
آخَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَكَمَا قَالَ
ﷺ: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى».

فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْيَرْتَهُ بِأُمِّهِ؟»، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ لِنَكَارَتِي تَعَجُّبِي، أَي: كَيْفَ تَعْيَبُهُ بِسَوَادِ أُمِّهِ،
وَتُسْتَنْقِصُهُ بِذَلِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْأَلْوَانِ، وَإِنَّمَا يَفَاضِلُ بَيْنَهُمْ
بِالتَّقْوَى، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، أَي: إِنَّ مَا فَعَلْتَهُ مَعَهُ مِنْ تَعْيِيرِ سَوَادِ أُمِّهِ نَعْرَةً جَاهِلِيَّةً،
وَأَثَرَ مِنْ أَثَارِ التَّمْيِيزِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ»، أَي: إِنْ هَؤُلَاءِ الْخُدَمُ لَيْسُوا فِي الْحَقِيقَةِ سِوَى إِخْوَانِكُمْ فِي
الدِّينِ، أَوِ الْإِنْسَانِيَّةِ، سَخَّرَهُمُ اللَّهُ لَكُمْ حَيْثُ «جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ»، أَي: تَحْتَ سُلْطَتِكُمْ،

فَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنِ الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ عِنْدَمَا طَعَنَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِرْضِ أَخِيهِ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: يَا بَنَ السَّودَاءِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، وَالتَّفَاخَرَ بِهَا مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ﷻ فِي نَفْسِهِ، وَأَلَّا يُسِيءَ إِلَى إِخْوَانِهِ! وَأَنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ الْآنَ مَنْ يَطْعُنُونَ فِي أَصُولِ كَامِلَةٍ، وَفِي قِبَائِلِ كَامِلَةٍ، وَفِي أُسْرِ كَامِلَةٍ، وَفِي عَوَائِلِ كَامِلَةٍ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يُطْعَنَ فِي عِرْضِهِ، وَلَا فِي نَفْسِهِ، وَالنَّاسُ مُؤْتَمِنُونَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ.



وَطَوَّعَ أَمْرَكُمْ «فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ»، أَيْ: وَمَا دَامُوا إِخْوَةً لَكُمْ، فَإِنْ عَاطِفَةُ الْأَخْوَةِ تَقْتَضِي مِنْكُمْ حُسْنَ مَعَامَلَتِهِمْ، وَالرَّفْقَ بِهِمْ، وَمِرَاعَاةَ مَشَاعِرِهِمْ، وَتَوْفِيرَ الْعَيْشِ الْكَرِيمِ لَهُمْ، وَإِطْعَامَهُمْ مِنْ طَعَامِكُمْ، وَإِلْبَاسَهُمْ مِنْ لِبَاسِكُمْ «وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ»، أَيْ: وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ مَا لَا يَطِيقُونَهُ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، «فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»، أَيْ: فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ إِعَانَتُهُمْ عَلَيْهِ، وَمُسَاعَدَتُهُمْ. وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ مَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: أَنْ مُرْتَكَبَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَكْفُرُ، كَمَا تَرَجَّمُ لَهُ الْبُخَارِيُّ؛ لِأَنَّ تَعْيِيرَ الْمَرْءِ بِأَمَّةٍ مَعْصِيَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُسَمَّهْ ﷺ كَفْرًا، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ بَطَالٍ، وَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِهِ وَكَلَامِ الْعَيْنِيِّ أَنْ تَعْيِيرَ الْمَرْءِ بِأَمَّةٍ كَبِيرَةٌ.

ثَانِيًا: أَنَّ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ: إلْغَاءُ التَّمْيِيزِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. انْظُرْ «مَنَارَ الْقَارِي

شرح صحيح البخاري» (١/ ١١٥، ١١٦).

الطعن في الأنساب كبيرة

الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ أَمْرُهُ عَظِيمٌ، وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَقَدْ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ كُفْرًا، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ: «اِثْنَانِ فِي النَّاسِ، هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّبَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٦٧).

الطعن في الأنساب غيبة

يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ غِيْبَةٌ؛ فعندما تَجْلِسُ مع أَصْحَابِكَ، فَتُطْعِنُ فِي نَسَبِ آلِ فُلَانٍ، أو الأُسْرَةِ الْفُلَانِيَّةِ، أو فُلَانٍ مِنَ النَّاسِ، فَأَنْتَ قَدْ وَقَعْتَ فِي الْغِيْبَةِ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْغِيْبَةَ هِيَ «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»^(١).

وَلَا أَظُنُّ مُؤْمِنًا يُحِبُّ أَنْ يُطْعَنَ فِي نَسَبِهِ، أو أَنْ يُطْعَنَ فِي أَسْرَتِهِ، أو أَنْ يُطْعَنَ فِي تَارِيخِهِ.

فَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ غِيْبَةٌ قَدْ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

وَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ عِنْدَمَا قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ الطَّاعِنُ فِي أَنْسَابِ الْأَمْوَاتِ فِي قُبُورِهِمْ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُغْتَابًا لَهُمْ،
وإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْتَرِيًا عَلَيْهِمْ بِالْبُهْتَانِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَسَبَهُمْ إِلَى نَسَبٍ هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ.



الطعن في الأنساب مدعاة للتباغض والتدابير

الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ يُؤَدِّي إِلَى التَّبَاغُضِ، وَإِلَى التَّدَابِيرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

لِذَا، كَانَ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ أَمْرُهُ خَطِيرٌ، وَعَظِيمٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا طَعَنَ هَذَا فِي نَسَبِ هَذَا، أَبْغَضَهُ.

وَهَذَا التَّبَاغُضُ وَالتَّشَاحُنُ خِلَافَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ لِلتَّوْحِيدِ، وَتَعْلِيمِهِمُ الْأَخْلَاقَ وَالتَّآخِي؛ قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٢).

فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ طَعْنٌ فِي الْأَنْسَابِ، تَفَكَّكَ هَذَا الْجَسَدُ، وَانْتَشَرَتِ الْبَغْضَاءُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَأَصْبَحَ كُلُّ شَخْصٍ يَحْقِدُ عَلَى الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْآخَرَ يَحْتَقِرُهُ، وَلَا يَرَاهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه.

بشيء، والإنسان يُبغض مَنْ يَحْتَقِرُهُ، فَالطُّفُلُ الصَّغِيرُ لَوْ احْتَقَرَتْهُ بِكَلِمَةٍ لَتَأَثَّرَ، وَهُوَ طِفْلٌ عُمُرُهُ أَرْبَعُ أَوْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، فَكَيْفَ بِرِجَالٍ، وَأَسْرٍ، وَأُمَمٍ، وَقِبَائِلَ.

فَالطُّغْنُ فِي الْأَنْسَابِ يُؤَدِّي إِلَى التَّبَاغُضِ فِيمَا بَيْنَنَا، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَايَشَ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فِي مَدِينَتِهِمْ، فِي حَيِّهِمْ، فِي مَكَانِ أَعْمَالِهِمْ، وَفِي سَفَرِهِمْ، وَفِي إِقَامَتِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَهْمُرِيقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدُوٍ وَحَاضِرَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا أَحَدُكُمْ
فَالْإِنْسَانُ سُمِّيَ إِنْسَانًا مِنَ الْأَنْسِ، وَالْإِسْتِنَاسِ بِالْآخِرِ، وَالْإِنْسَانُ اجْتِمَاعِيٌّ بِطَبْعِهِ، فَإِذَا انْتَشَرَ بَيْنَنَا الطُّغْنُ فِي الْأَنْسَابِ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَفَكُّكِ الْمُجْتَمَعِ، وَإِلَى التَّشَاحُنِ وَالتَّبَاغُضِ فِيمَا بَيْنَنَا، بِحَيْثُ إِذَا أَتَيْتَنِي مُعَامَلَتَكَ - وَنَحْنُ مُتَبَاغِضُونَ - وَأَنَا مُوَظَّفٌ، فَسَوْفَ أَعْمَلُ كُلَّ الْأَعْمَالِ لِكَيْ تَتَأَخَّرَ عِنْدِي أَطْوَلُ مُدَّةٍ مُمَكِنَةٍ نِكَايَةَ فَيْكَ، فَلَا بُدَّ أَنَّكَ سَتَحْتَقِرُنِي، وَهَكَذَا... فَسَتُصْبِحُ حَيَاتُنَا حَيَاةً غَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ، بَلْ حَيَاةً عَصِيبَةً.

وَأَنْتَ قَدْ تَجْلِسُ مَعَ الرَّجُلِ فَتَتَحَدَّثُ مَعَهُ، وَهُوَ فِي قَلْبِهِ يَلْعَنُكَ، وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ مَعَهُ بِحُلُوِّ اللِّسَانِ، وَأَنْتَ فِي قَلْبِكَ تَلْعَنُهُ، فَتَتَكَلَّمُ مَعَهُ، وَأَنْتَ تَحْتَقِرُهُ، وَتَبْتَسِمُ فِي وَجْهِهِ، وَأَنْتَ تَزْدِرِيهِ بِقَلْبِكَ، وَتَحْتَقِرُهُ، كَيْفَ تَكُونُ

الحَيَاةُ هَذَا الشَّأْنُ؟!

وهو يَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَلَيْهِ فِي غَيْبَتِهِ، وَتَطْعُنُ فِيهِ، فِي مَسْأَلَةٍ، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ الْأُمُورِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْكَ فِي غَيْبَتِكَ، ثُمَّ تَتَلَقَّيَانِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَعَلَى مَاذَا تَتَلَقَّيَانِ؟ عَلَى وُجُوهِ الْمُتَافِقِينَ الْكَاذِبِينَ الْقَادِحِينَ فِي بَعْضِهِمْ، عَلَى صِفَةِ ذِي الْوَجْهَيْنِ اللَّعِينَةِ الْكَرِيمَةِ^(١)، عَلَى مَاذَا تَلْتَقِيَانِ؟!

فَعَلَيْنَا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنْ نُصَفِّي قُلُوبَنَا، وَأَنْ نُظَهِّرَهَا!

ثُمَّ إِنَّا نَتَّعَامَلُ مَعَ رَبِّ يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ^(٢).

وَاعْلَمُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ أَصْحَابَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ يَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَعَلَى وُجُوهِهِمْ، وَعَلَى عِبَارَاتِهِمْ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُكْثِرُوا مِنَ الْحَدِيثِ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُكْثِرُوا مِنَ التَّذْلُفِ، بِخِلَافِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُجِيدُونَ فَنَّ التَّذْلُفِ، وَفَنَّ الْكَذِبِ، وَفَنَّ ذِي الْوَجْهَيْنِ.

وَأَقُولُ: إِنَّهُ إِذَا انْتَشَرَ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ فِي مَدِينَةٍ مِنَ الْمُدُنِ، وَفِي مَنْطِقَةٍ مِنَ الْمَنَاطِقِ، وَفِي بَلَدٍ، وَفِي دَوْلَةٍ مِنَ الدُّوَلِ، وَانْتَشَرَتِ الْعُنْصُرِيَّةُ الْقَبْلِيَّةُ، وَالْعُنْصُرِيَّةُ الْأُسْرِيَّةُ، سَاءَتِ الْعِلَاقَاتُ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَوَاصِرُ.

(١) وقد أخرج البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَّخٍ، وَهَوْلَاءَ بَوَّخٍ».

(٢) قال الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

وقال جلَّ جلاله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وَلَيْسَتْ الْعُنْصُرِيَّةُ فَقَطْ فِي الْقَبَائِلِ، فَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ شَخْصٍ كَبِيرٍ عُنْصُرِيَّةٌ، وَذَلِكَ بَأَن يَطْعَنَ فِي أَنْسَابِ الْآخَرِينَ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَى اسْمِ قَبِيلَتِهِ، وَيُحِبُّ وَيُبْغِضُ عَلَى اسْمِ قَبِيلَتِهِ! مَعَ أَنَّ الْحُبَّ وَالْبُغْضَ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّهِ، وَالْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّهِ.

وَكَذَلِكَ قَدْ يُحِبُّ إِنْسَانُ النَّاسِ، وَيُبْغِضُهُمْ فِي أَسْرَتِهِ، وَفِي عَائِلَتِهِ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَى عَائِلَتِهِ، أَوْ عَلَى مَنْطِقَتِهِ، وَكُلُّ هَذِهِ عُنْصُرِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ.

فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ الْعُنْصُرَ وَالْجِنْسَ عَلَى الدِّينِ، فَهُوَ عُنْصُرِيٌّ، وَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ الْعُنْصُرَ وَالْجِنْسَ عَلَى الْحُبِّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ، وَعَلَى أَنْ يُفَاضَلَ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ التِّزَامِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِ اللَّهِ، فَهُوَ عُنْصُرِيٌّ كَانِنًا مَنْ كَانَ، فِي أَيِّ بَلَدٍ كَانَ، وَإِلَى أَيِّ قَبِيلَةٍ انْتَسَبَ، وَإِلَى أَيِّ أَسْرَةٍ انْتَسَبَ.

وَإِذَا انْتَشَرَتِ الْعُنْصُرِيَّةُ، انْتَشَرَ الْقَتْلُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَإِذَا انْتَشَرَتِ الْعَصَبِيَّاتُ الْجَاهِلِيَّةُ^(١)، انْتَشَرَ الْقَتْلُ، وَعَمَّتِ الْفَوْضَى وَالْمُظَاهَرَاتُ.

(١) «العصبيُّ»: هو الذي يَغْضِبُ لِعَصْبَتِهِ، ويحامي عنهم. والعصبة: الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم، أي: يحيطون به، ويشند بهم. انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/٣٤٥).

وقد أخرج أبو داود (٥١١٧)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَّ، فَهُوَ يَنْزِعُ بِذَنْبِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (١٩٠٤).

والمعنى: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ»، أي: على باطل، أو مشكوك.

«فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَّ» بضم الراء، وكسر الدال المشددة، وفتح الباء، أي: تَرَدَّى وسقط في البئر، «فَهُوَ»، أي: البعير المُتَرَدِّي «يَنْزِعُ» بصيغة المجهول، أي: يخرج، ويرفع «بِذَنْبِهِ»، أي:

يجزُّ من ورائه.

قال الخطابي: معناه أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردّئ في بئر، فصار ينزع بدّنه، ولا يقدر على الخلاص». انظر «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٨/١٤).

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/٣٢٨، ٣٢٩): «وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن: من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة: فهو من عزاء الجاهلية؛ بل «لما اختصم رجلان من المهاجرين والأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين. وقال الأنصاري: يا للأنصار. قال النبي ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟»، وغضب لذلك غضباً شديداً. فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار! وقول هذا المهاجري: يا للمهاجرين! هو النداء بالقومية العصبية».

وقول النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»، يقتضي وجوب ترك النداء بها، ويقتضي تحريم أن ينادي الإنسان بنداء الجاهلية، وبدعوى الجاهلية؛ لأن قوله: «دعوها»، أمرٌ صريحٌ بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب كما هو معلوم من الأصول، كما قال ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ودلّ هذا على أن مخالفة أمر النبي ﷺ معصيةٌ محرّمةٌ، وأكد النبي ﷺ هذا الأمر بقوله: «دعوها فإنها منتنة»، حيث وصف هذا الأمر بالتن، فالنداء بالقوميات أو العصبيات دعوةٌ منتنةٌ، فالدعوى القومية، أو العربية، أو الفرعونية، أو أي شيء من هذه الدعوات الجاهلية إنما هي دعوى جاهليةٌ منتنةٌ، وقد أمر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بترك هذه الألقاب التي هي أشرف الألقاب: المهاجرين والأنصار، وهي ممدوحة في القرآن أعظم المدح، وأخبر الله ﷻ أنه رضي عن المهاجرين والأنصار، وامتدحهم الله ﷻ، وامتدحهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في سنته الشريفة في كثير من المواضع، فنهى عن هذه الألقاب التي هي من أشرف الألقاب إذا كان من باب الدّعوى الجاهلية، أو في صورة عصبية.

وكذلك الأمر بالنسبة لمسميات الجماعات الإسلامية في أي بلد، وفي أي مكان، فأي اسم -حتى ولو كان اسماً شريفاً- إذا تحوّل من معناه البريء المشروع إلى الحزبية والعصبية، فإنه من دعوى الجاهلية التي أمرنا باجتنابها، فلو أن السلفيين -مثلاً- تناذروا باسم السلفية،

وانطبق عليهم هذا المعنى الجاهلي البغيض، فيقال لهم: دعوها فإنها متنة. وهكذا غيرهم من الجماعات الإسلامية إذا استخدموا هذه الألقاب في العصبية، أو خالفت الجماعة الشرع، أو قالت: مَنْ لم يكن معنا، فهو علينا، وينبغي أن نحاربه، فكل هذه دعاوى جاهلية ينبغي التنزه عنها، والبراءة منها، ومن فعل أصحابها، لكن إذا استخدم اللفظ بمعنى صحيح، فلا حرج فيه، كما استخدم لقب المهاجرين والأنصار فيما بينهم، وهذا لا حرج فيه، لكن مهما شرف هذا اللفظ، حتى لو كان لقب المهاجرين والأنصار، لو صار سبباً لتعزيز الدعاوى الجاهلية التي تفصل عرى الإسلام، وتثير النزعات الجاهلية بين المسلمين؛ فيقال لأصحابها: دعوها فإنها متنة.

فدلّ هذا الحديث (وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَتْنَةٌ») على تحريم التنادي بالعصبية القومية، أو القبلية، أو غيرها؛ لأن الرسول ﷺ أمر بالترك. وأيضاً دلّ على تحريم التنادي بهذه العصبية؛ لأنه وصفها بالشيء المتن، والله ﷻ يقول: ﴿أَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، و«الْخَبِيثَاتُ» من الصفات والأفعال «لِلْخَبِيثِينَ».

ويقول ﷺ: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وأيضاً وصفها بأنها من دعوى الجاهلية.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» (٢/٤٣١): «الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية للإنسان، ومثله التّعصّب للمذاهب، والطوائف، والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية، وكونه متسبباً إليه، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويعادي، ويزن الناس به، فكل هذا من دعوى الجاهلية».

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في «تيسير العزيز الحميد» في (باب من الإيمان بالله الصبر على الأقدار)، معلقاً على كلام ابن القيم: «قلت: الصحيح أن دعوى الجاهلية يعم ذلك كله، وقد جاء لَعْن مَنْ فعل ما في هذا الحديث، عن ابن ماجه، وصَحَّحه ابنُ حبان، عن أبي أُمّامة أن رسول الله ﷺ: «لَعْنُ الْخَامِثَةِ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةُ جَبِيهَا، وَالدَّاعِيَةُ بِالْوَيْلِ وَالشُّورِ».

وهذا يدلّ على أن هذه الأمور من الكبائر؛ لأنها مشتملة على التَّسَخُّطِ على الرب، وعدم الصبر

الواجب، والإضرار بالنفس من لطم الوجه، وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها، وذئب الميت بما ليس فيه، والدعاء بالويل والشبور، والتظلم من الله تعالى، وبدون هذا يثبت التحريم الشديد، فأما الكلمات اليسيرة إذا كانت صدقاً، لا على وجه النوح والتسخط، فلا تحرم، ولا تنافي الصبر الواجب.. نص عليه أحمد لما رواه في «مسنده»، عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: وأنبأه، واخيلاه، واصفياه.

وكذلك صحَّ عن فاطمة رضي الله عنها أنها نذبت أباها ﷺ، فقالت: يا أبتاه، أجب رباً دعاه.. الحديث. وقد ذمَّ الله ربَّ العالمين اليهود في القرآن؛ لأنهم يعلمون أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، لكن عصيَّتهم وعُصريَّتهم جعلتهم يكفرون به، ويكذبونه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٧٦، ١٧٧).

ويقول العلامة السعدي رحمته الله في «تفسيره» (ص ٧٢): «يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمداً رسول الله، وأنَّ ما جاء به حقٌّ وصدقٌ، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفةً بمحمدٍ ﷺ، وصلت إلى حدٍّ لا يشكون فيه، ولا يمترون، ولكن فريقاً منهم - وهم أكثرهم - الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنهم، وهم يعلمون ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وفي ضمن ذلك، تسليَّة للرسول والمؤمنين، وتحذيرٌ له من شرِّهم وشبههم، وفريق منهم لم يكتموا الحق وهم يعلمون، فمَنهم مَنْ آمَن به، ومنهم مَنْ كفر به جهلاً، فالعالمُ عليه إظهار الحق، وتبيينه وتزيينه بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهانٍ ومثالٍ، وغير ذلك، وإبطال الباطل، وتمييزه عن الحق، وتشيينه، وتقيحه للنفس بكل طريقٍ مُؤدٍّ لذلك، فهؤلاء الكاتمون عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: هذا الحق الذي هو أحقُّ أن يُسمَّى حقاً من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتركبة النفوس، وحنها على تحصيل مصالحها، ودفع مَقاسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح».

وَإِذَا انتَشَرَتِ الْعَصَبِيَّاتُ الْجَاهِلِيَّةُ، انتَشَرَ سَلْبُ الْأَمْوَالِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرَى
لِلْآخَرِينَ حَقًّا فِيمَا يَمْلِكُونَ.

وَإِذَا انتَشَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ، أَذَى ذَلِكَ إِلَى ضَيَاعِ الْأَمْنِ، وَانْظُرُوا إِلَى
الْعِرَاقِ بِجَانِبِكُمْ أَيُّهَا السُّعُودِيُّونَ.



وقفة مهمة

وهنا كلمة مهمة:

انظروا أيها الإخوة! عدوُّ مُحْتَلٍّ يأخذ بلدَهم، ومع ذلك ما يُقاتِلُه إلا القليل؛ لأنَّ كُلاًّ مِنْهُمْ قَدْ تَعَصَّبَ لِقَبِيلَتِهِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ تَعَصَّبَ لِمِنْطَقَتِهِ، فالأَكْرَادُ يَقُولُونَ: نحنُ في خَيْرٍ. وفي الجَنُوبِ يَقُولُونَ: نحنُ في خَيْرٍ.

أين الخَيْرُ، وأنتم مُحْتَلُّون؟!

والكلُّ يَنْظُرُ إِلَى تَرَابِهِ الَّذِي تَحْتَ قَدَمِهِ، وَيَنْظُرُ إِلَى عُصْرِيَّتِهِ، وَإِلَى عَصِيَّتِهِ الْجَاهِلِيَّةِ!

ولذلك، نَجِدُ أَنَّ أَمْرِيكََا وَغَيْرَهَا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْنُوا الْعُنْصُرِيَّاتِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يُرِيدُونَ أَنْ يَحْتَلُّوها؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَنَاطِقَ فِي الدَّوْلَةِ الْوَاحِدَةِ إِذَا انْتَشَرَتِ الْعُنْصُرِيَّةُ فِيهَا مَعَ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَصْبَحَ وَلَاءُ الشَّخْصِ لِمِنْطَقَتِهِ، وَلِمَدِينَتِهِ، لَا لِدَوْلَتِهِ، وَأَصْبَحَ الْوَلَاءُ لِقَبِيلَتِهِ، لَا لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَلَدِهِ، وَهَذَا سَوْفَ يُمَزِّقُهُمْ، وَيُشَتِّتُهُمْ، وَيَجْعَلُ عَدُوَّهُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْكُمَهُمْ دَكًّا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً.

لِذَلِكَ، قَضِيَّةُ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ مَسْأَلَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْإِسْلَامِ، وَتَتَعَلَّقُ

بِالنِّظَامِ الْعَامِّ، وَتَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْبَشَرِ عُمُومًا، وَتَتَعَلَّقُ بِالْأَهْدَافِ الْعُلْيَا لِإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ،
وَتَتَعَلَّقُ بِالثَّوَابِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا الْبِلَادُ.

وَالَّذِي يَسْعَى لِبَثِّ الْعُنْصُرِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْعَصَبِيَّاتِ، وَتَفْكِكِ وَخُذَةِ الْأُمَّةِ،
وَالسَّغْيِ لِأَنْ يَقْتُلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، هُوَ مُفْسِدٌ قَدْ اِزْتَكَبَ جَرِيمَةَ شَرِيعَةٍ،
وَجَرِيمَةَ سِيَاسِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَعْمَلُ عَلَى إِسْقَاطِ الْبِلَادِ كُلِّهَا، وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَنَّ
أَعْدَاءَنَا يَسْعَوْنَ إِلَى هَذَا.



الحياة في ظل العصبية الجاهلية

إِذَا انْتَشَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ أَصْبَحَ جَوُّ الْبَلَدِ كُلُّهُ جَوْاً مُشْتَعِلاً، فَإِذَا ذَهَبَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَيْ دَائِرَةِ حُكُومِيَّةٍ يُرِيدُ أَنْ يُنْهِيَ مُعَامَلَةً، فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ كَأَنَّهُ مُوظَّفٌ فِي هَذِهِ الْمَصْلَحَةِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ، فَقَدْ يَرَى أَنَّهُ يُعْطَلُ مُعَامَلَتُهُ؛ لِأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ، أَوْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْفُلَانِيَّةِ مَشَاكِلَ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْمُوظَّفَ قَدْ تَعَامَلَ مَعَهُ بِنِظَامٍ، لَكِنَّ الْجَوَّ بَيْنَهُمَا مُحْتَقِنٌ، فَسَوْفَ يُؤْدِي إِلَى أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ بَعْضِنَا الْبَعْضَ التَّعَامُلَ الدُّوْنِيَّ.

فَهَذَا الشَّرْطِيُّ، أَوْ هَذَا الضَّابِطُ إِذَا أَوْقَفْنِي، وَإِذَا تَعَامَلَ مَعِي عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَأَنَا مِنَ الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ؛ أَوْ لِأَنَّهُ كَذَّاءٌ، وَأَنَا كَذَّاءٌ، فَسَيَكُونُ فِيهِ إِفْسَادٌ لِلْمُجْتَمَعِ، وَضِيَاعٌ وَتَشْتُّ.

وَلَكِنْ عَلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ النِّظَامِ الْقَائِمِ، وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِهِ، وَأَنْ يَحْتَرِمَهُ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَامَلَ الشَّرْطِيُّ، أَوْ الْمُوظَّفُ، أَوْ أَيُّ مَسْئُولٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْ آلِ فُلَانٍ، أَوْ آلِ فُلَانٍ فِيهِمْ كَذَّاءٌ، وَأَنْ مَنْ أَمَامَهُ كَذَّاءٌ، أَوْ فِيهِمْ كَذَّاءٌ.

فَإِذَا تَعَامَلَ الطَّالِبُ مَعَ الْمُدْرِّسِ، وَالْمُدْرِّسُ مَعَ الطَّالِبِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَهَذَا الْمُدْرِّسُ فَعَلَ مَعِي كَذَّاءً؛ لِأَنَّهُ يَحْتَقِرُنِي، وَلِأَنِّي مِنْ كَذَّاءٍ.

وَيَقُولُ الْمُدْرِّسُ: إِذَا تَكَلَّمْنَا مَعَ الطَّالِبِ وَعَلَّمْنَاهُ، يَقُولُ: هَذَا الطَّالِبُ قَدْ يَخْتَفِرُنِي؛ لِأَنَّنِي مِنْ كَذَا.

فكَيْفَ نَعِيشُ مَعَ بَعْضٍ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ؟!

وَالآنَ يَجِبُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَوُلاَةِ الْأُمُورِ -وَهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، يَقُومُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّوْحِيدِ لِلنَّاسِ - أَنْ يَفْهَمُوا هَذَا، وَأَنْ يَأْخُذُوا عَلَى مَنْ يُشْعَلُ الْفِتْنَةُ، وَيُبْتُ الْفُرْقَةُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى تَعَطُّلِ الْمَصَالِحِ، وَالدَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ، وَقَدْ يَتَعَطَّلُ أَمْنُنَا، وَيُضَيِّحُ تَعَامُلُ النَّاسِ مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَغْضَ عَلَى خَلَفِيَّاتِ سَوْدَاءٍ مُظْلِمَةٍ عَصِيْبَةٍ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَعْيشَ مَعَ الْآخَرِ؛ الْمُدْرِّسُ مَعَ طُلَّابِهِ، وَالطُّلَّابُ مَعَ مُدْرِّسِهِمْ، وَالزَّمِيلُ مَعَ زَمِيلِهِ، حَتَّى فِي الشَّارِعِ... إِلَى أَنْ تُصْبِحَ حَيَاتُنَا حَيَاةَ مُوسُوسِينَ.

مُوسُوسِينَ فِي الْعَصَبِيَّةِ، مُوسُوسِينَ فِي الْعُنْصَرِيَّةِ.

وَلِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ أَنْ تَجِدَ هَذَا عِنْدَ الْبَغْضِ.

وَقَدْ آتَتْ تَعْلِيمَاتُ مِنَ الْمَسْئُولِينَ -جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا- بِالْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْهُ، وَتَكَلَّمْ غَيْرُنَا أَكْثَرَ مِنَّا، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَ الْجَمِيعَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَقَدْ تَكَلَّمْ عُلَمَاؤُنَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَالنَّاسُ قَدْ سَمِعُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ^(١)، وَأَحَادِيثَ النَّبِيِّ ﷺ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ»، وَفِي غَيْرِهَا،

(١) وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «يَأْتِيَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْتُمَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمَا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي صحيح البخاري ومسلم، وفي السنن - في هذا الموضوع.

لَكِنْ، نَحْنُ نَطَالِبُ أَنْ تُتَّخَذَ إِجْرَاءَاتُ رَسْمِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَرْتَدُّونَ بِالْقُرْآنِ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَرْتَدُّونَ بِالْحَدِيثِ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَرْتَدُّونَ بِالْمَوَاعِظِ، فَهُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَرْتَدُّ إِلَّا بِالسَّيْفِ، وَلَا يَرْتَدُّ إِلَّا بِالْقُوَّةِ، وَلَا يَرْتَدُّ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ، هُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ نَفْسُهُ خَائِفَةٌ، وَلَيْسَ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ نُصْحٌ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْإِفْسَادَ، فَهَذَا يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ، وَهَذَا الْأَمْرُ لِلْسُّلْطَانِ، وَلِوَلَاةِ الْأَمْرِ^(١).

(١) وفي ذلك يقول ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا مِنْهُ بَعُزْتُهُ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كَمْ يَرْفَعُ اللَّهُ بِالسُّلْطَانِ مَظْلَمَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
لَوْ لَا الْخِلَافَةُ لَمْ تُؤْمَنْ لِنَاسِبٍ وَكَانَ أَضْمَعْنَا نَهْيًا لِأَقْوَانَا
وأخرج ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ١١٨): عن ابن القاسم، قال: حَدَّثَنَا مَالِكُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ كَانَ يَقُولُ: «مَا يَزْعُ الْإِمَامُ أَكْثَرَ مِمَّا يَزْعُ الْقُرْآنُ»، أَي: مِنَ النَّاسِ! قَالَ: قُلْتَ لِمَالِكٍ: «مَا يَزْعُ»؟ قَالَ: يَكْفُ.

وقد سئل سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا كَانَ هَذَا الْكَلَامُ حَدِيثًا، فَاسْأَلْنَاهُ لَنَا، تَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَزْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُ بِالْقُرْآنِ»؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا أَثَرٌ مَعْرُوفٌ عَنْ عُمَانَ رَحِمَهُ اللهُ، وَثَابِتٌ عَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ الثَّالِثَ رَحِمَهُ اللهُ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَزْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُ بِالْقُرْآنِ»، مَعْنَاهُ: يَمْنَعُ بِالسُّلْطَانِ بِاقْتِرَافِ الْمُحَارِمِ، أَكْثَرَ مَا يَمْنَعُ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ، لَا تُؤْثِرُ فِيهِ زَوَاجِرُ الْقُرْآنِ، وَنَهْيُ الْقُرْآنِ، بَلْ يُقَدِّمُ عَلَى الْمُحَارِمِ وَلَا يَبَالِي، لَكِنْ مَتَى عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ عَقُوبَةً مِنَ السُّلْطَانِ، ارْتَدَّ، خَافَ مِنَ الْعَقُوبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَالَّهِ يَزْعُ بِالسُّلْطَانِ (يَعْنِي: عَقُوبَاتِ السُّلْطَانِ)، يَزْعُ بِهَا بَعْضُ الْمُجْرِمِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَزْعُهُمُ بِالْقُرْآنِ؛ لِضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ، وَقِلَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ، وَلَكِنْهُمْ يَخَافُونَ مِنَ السُّلْطَانِ لَثَلَا يَفْتَنُهُمْ، أَوْ يَضُرُّهُمْ، أَوْ يَنْسَلُهِمْ يَسْلَبُهُمْ أَمْوَالًا، أَوْ

فلا بد أن يتفحصوا، وأن يتبعوا، وأن يقيص لهذا الأمر الرجال الذين يتبعون مثل هذا النوع من الناس، ويتبعون المتديبات على الإنترنت، ونحو ذلك، ويزجرون فاعله، وينظرون في المواضع التي تطرح فيها.

وهؤلاء الجبناء الذين يختبئون خلف جدران الإنترنت، ويكتبون بأسماء مستعارة، ويطعنون في أعراض الناس، وفي أعراض المؤمنين، وفي أعراض الأسر، ويطعنون في الأسر، وفي القبائل، ويريدون أن يوقعوا بين هذه القبيلة وتلك، وإذا أتوا باسم شخص أو امرأة، قالوا: من الأسرة الفلانية، من آل فلان لكي يلحقوا الأذى بالأسرة كلها، وبالقبيلة كلها، فهؤلاء الذين يختبئون في جحور الإنترنت يجب على الدولة أن تبحث عنهم؛ لأننا لا نستطيع أن نصل إليهم.

إذا، هذا الذي يختبئ تحت اسم مستعار، ويختفي في الغرفة جباناً، وهذا فعل الجبناء، أما الشجاع الرجل الجريء، فهو الذي يظهر علانية، ويصرح علانية، ويؤدي مبادئه علانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخاف الناس، أما هذا فقد أعطى الإنترنت لأمثال هؤلاء الجبناء، ولأمثال هؤلاء الفران المختبئة في الجحور - الحرية في إفراز ما لديهم من كفر، ومن مكبر، ومن كيد، ومن لؤم، ومن حسنة، ومن دناءة، فأخذوا يتكلمون في فلان، وفي فلانة، وفي الأسرة

=

ينفيهم من البلاد، فهم يخافون ذلك، فينزعجون من بعض المنكرات التي يخشون عقوبة السلطان فيها، وإيمانهم ضعيف، فلا ينزعجون بزواج القرآن، ونواهي القرآن؛ لضعف الإيمان، وقلة البصيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. جزاكم الله خيراً». انظر الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله.

الْفُلَانِيَّةَ، وَفِي الْقَبِيلَةِ الْفُلَانِيَّةِ حَتَّى بَثُوا فِي النَّاسِ رُوحَ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَطْعَنُ فِي الْآخَرِ، وَيَتَعَامَلُونَ مَعَ بَعْضٍ بِاحْتِقَارٍ، وَازْدِرَاءٍ كَالْمَجَانِينَ.

إِنَّ بَعْضَ مُتَنَدِّيَاتِ الْإِنْتِرَنَتِ، وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ هِيَ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ هَذَا الْأَمْرِ، فَيَجِبُ أَنْ تُغْلَقَ هَذِهِ الْمُتَنَدِّيَاتِ، وَيُؤْتَى بِهِؤَلَاءَ لِيُجْلَدُوا فِي الشَّارِعِ، وَيُطَبَّقَ فِيهِمْ حَدُّ اللَّهِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ.

وَهَذِهِ لَيْسَتْ بِحُرِّيَّةٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ حُرِّيَّةُ الْكُهُوفِ الْمُظْلِمَةِ، وَحُرِّيَّةُ الْجُبَنَاءِ، وَحُرِّيَّةُ الْفِئْرَانِ الْمُبْتَدَعَةِ.

أَمَّا حُرِّيَّةُ الرِّجَالِ، فَالْحُرُّ لَا يَطِيرُ إِلَّا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ يَرَاهُ الْجَمِيعُ، وَيَقِفُ أَمَامَ الْجَمِيعِ، وَيَأْتِي أَمَامَ الْجَمِيعِ.

أَمَّا هَؤُلَاءِ الْجُبَنَاءِ الَّذِينَ يَهْذُونَ، وَهُمْ مُخْتَبِوُونَ تَحْتَ أَسْمَاءِ مُسْتَعَارَةٍ، وَيُسَمُّونَ هَذِهِ حُرِّيَّةً، فَهَذِهِ لَيْسَتْ حُرِّيَّةً، وَإِنَّمَا تَدْمِيرٌ لَوْحَدَةِ الْبَلَدِ، وَبُعْدٌ عَمَّا أَرْسَلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَهَذِهِ جَرِيْمَةٌ كَبِيرَةٌ.

كَذَلِكَ إِذَا ثَبَتَ أَنَّ مَسْئُولًا - سَوَاءَ كَانَ أَمْنِيًّا، أَوْ مَدَنِيًّا - يَتَعَامَلُ مَعَ النَّاسِ بِعَصَبِيَّةٍ وَعُنْصُرِيَّةٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَتْرَكَ الظَّالِمَ وَالْمُجْرِمَ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَسِبُ إِلَى قَبِيلَتِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ صَدِيقُهُ، أَوْ لِكَذَا وَكَذَا لِاعْتِبَارَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ، أَوْ الْعَصَبِيَّةِ، فَهَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُؤَخَذَ عَلَى يَدِهِ، وَأَنْ يُحَقَّقَ مَعَهُ، وَأَنْ يُعَاقَبَ؛ سَوَاءَ كَانَ مَسْئُولًا مَدَنِيًّا، أَوْ مَسْئُولًا أَمْنِيًّا، أَيْمًا كَانَ، أَوْ مُدْرَسًا يَثْبُتُ أَنَّهُ يَبْثُ هَذِهِ الرُّوحَ بَيْنَ الطُّلَّابِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، فَيَجِبُ أَنْ يُعَدَّ عَنِ التَّدْرِيسِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يُنَبِّهَهُ، فَإِذَا أَصَرَ، يُعَدُّ عَنِ التَّدْرِيسِ؛ لِأَنَّهُ سَوْفَ يَدْمُرُ شَبَابَنَا وَمُجْتَمَعَنَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، أَكْثَرُ النَّاسِ الْآنَ يُقَاوِمُونَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ، وَلَكِنْ نَحْنُ نُرِيدُ أَنْ

نَأْخُذَ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ.

وَالْفَقِيَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ، وَالنَّاسُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ.

وَلِذَلِكَ، تَجِدُ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ مِنْ مَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ: أَنَّ أَيَّ شَخْصٍ يَسْتَخْدِمُ الْإِنْتَرْنِتَ، أَوْ الْجَوَّالَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فِي التَّشْهِيرِ بِالنَّاسِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، سَيَتَعَرَّضُ لْعُقُوبَاتٍ رَادِعَةٍ.

فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى هَذَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بَدَأَتْ الْأُمُورُ تَأْخُذُ هَذَا الطَّرِيقَ، وَلَكِنْ نُرِيدُ التَّطَبُّقَ مِنْ بَعْضِ الْمَسْئُولِينَ عَلَى الْمُتَنَدِّيَاتِ؛ فَيُطَبَّقُونَ هَذَا فِي النَّاسِ الَّتِي تَطْعَنُ، وَيُطَبَّقُونَ هَذَا فِي الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَهْدُمُونَ، وَلَا يَبْنُونَ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ - وَهُوَ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - يَبْنُونَ وَلَا يَهْدُمُونَ، وَيَجْمَعُونَ وَلَا يُفَرِّقُونَ، وَلَكِنْ هُنَاكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَسْعَى بِقَصَائِدِهِ إِلَى الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ، وَإِلَى تَفْرِيقِ الْمُجْتَمَعِ، وَهَؤُلَاءِ يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَأَنْ يُعَاقَبُوا.

فَنَحْنُ نُرِيدُ شَيْئًا عَاجِلًا وَقَوِيًّا لاجْتِنَاءِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَزِيدُ عُنَى بِالْخُطْبَةِ، وَلَا بِالْمَوْعِظَةِ!



الخاتمة

وَفِي الْخَتَامِ: أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَخِمِّي هَذِهِ الْبِلَادَ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ احْمِ بِلَادَنَا، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَحِّدْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَهُمْ.

اللَّهُمَّ لَا تُفَرِّقْ شَمْلَهُمْ، وَلَا جَمْعَهُمْ.

اللَّهُمَّ فِيهِمْ كُلِّ مَنْ أَرَادَ شَرًّا بِهِمْ.

اللَّهُمَّ مَنْ كَادَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فَكِذْهُ.

اللَّهُمَّ مَنْ سَعَى لَتَفْرِيقِ الْمُسْلِمِينَ، وَبُثِّ الْفِتْنَةِ بَيْنَهُمْ، فَاجْعَلْ سَعْيَهُ تَدْمِيرًا لَهُ.

اللَّهُمَّ مَنْ دَبَّرَ لَنَا شَرًّا، فَاجْعَلْ تَذْيِيرَهُ تَذْمِيرَهُ.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَوَحِّدْ بَيْنَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أَمْرِنَا إِلَى تَحْكِيمِ كِتَابِكَ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَارْزُقْهُمْ

البِطَانَةُ الصَّالِحَةُ النَّاصِحَةُ الَّتِي تَدْعُوهُمْ وَتَوْصِلُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالَّتِي تَسْعَى إِلَى
إِيصَالِ مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِرَعِيَّتِهِمْ، وَالَّتِي تَكُونُ صَادِقَةً نَاصِحَةً، لَا كَاذِبَةً مُنَافِقَةً
مُتَذَلِّفَةً.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى طَاعَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَقِنَا شَرَّ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ، وَمَا بَطَّنَ.

وآخر دعوانا

أن الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

**كلام وفتاوى العلماء
في العصبيات**

من كتاب «نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع»

قال سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الَّذِي يُنْكِرُ الْيَوْمَ، وَيُسْتَغْرِبُ صُدُورُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أُنْبَاءِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْعَرَبِ: انْصِرَافَهُمْ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَفَعَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَعَزَّهُمْ بِهِ بِحِمْلِ رِسَالَتِهِ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكَ الدُّنْيَا وَسَادَةَ الْعَالَمِ، لَمَّا حَمَلُوا لِيَوَاءِهِ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، حَتَّى فَتَحُوا الدُّنْيَا، وَكَسَرُوا كَسْرِي، وَقَصَرُوا قَيْصَرَ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى خَزَائِنِ مَمْلَكَتَيْهِمَا، وَأَنْفَقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وكَانُوا حِينَئِذٍ فِي غَايَةِ مِنَ الصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ، وَالتَّحَابِّ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْمُؤَاخَاةِ فِيهِ، لَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ، وَلَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَلَا بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَلَا بَيْنَ شَرْقِيٍّ وَغَرْبِيٍّ، بَلْ هُمْ فِي ذَلِكَ إِخْوَانٌ مُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، صَابِرُونَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، لَا تَأْخِذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، يُوَالُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُعَادُونَ فِيهِ، وَيُحِبُّونَ عَلَيْهِ، وَيَبْغِضُونَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ كَفَاهُمُ اللَّهُ مَكَائِدَ أَعْدَائِهِمْ، وَكَتَبَ لَهُمُ النَّصْرَ فِي جَمِيعِ مَيَادِينِ جِهَادِهِمْ، كَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [الروم: ٤٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧)

[محمد: ٧].

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ مِنَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، تَرَى نَفَرًا مِنْ أُنْبِيَائِنَا يُخَدَعُونَ بِالْمَبَادِي الْمُنْحَرِفَةِ، وَيَدْعُونَ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا فَضْلَ الْإِسْلَامِ، وَمَا حَصَلَ لِأَسْلَافِهِمْ بِالْإِسْلَامِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْمَجْدِ الشَّامِخِ، وَالْمُجْتَمَعِ الْقَوِي الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ الصَّادِقِينَ، حَتَّى إِنَّ عَدُوَّهُمْ لِيَخَافَهُمْ وَهُوَ عَنْهُمْ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، نَسِي هَؤُلَاءِ أَوْ تَنَاسَوْا هَذَا الْمَجْدَ الْمُؤْتِلَّ، وَالْعِزَّ الْعَظِيمَ، وَالْمُلْكَ الْكَبِيرَ الَّذِي نَالَهُ الْمُسْلِمُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَصَارَ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ يَدْعُونَ إِلَى التَّكْتُلِ وَالتَّجْمُعِ حَوْلَ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَعْرِفُونَهَا بِأَنَّهَا اجْتِمَاعٌ وَتَكَاتُفٌ لَتَطْهِيرِ الْبِلَادِ مِنَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَعْمِرِ، وَلِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَاسْتِعَادَةِ الْمَجْدِ السَّلِيلِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الدَّعَاةُ إِلَيْهَا فِي عَنَاصِرِهَا: فَمِنْ قَائِلٍ: أَنَّهَا الْوَطَنُ وَالنَّسَبُ وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَمِنْ قَائِلٍ: أَنَّهَا اللَّغَةُ فَقَطْ، وَمِنْ قَائِلٍ: أَنَّهَا اللَّغَةُ مَعَ الْمُشَارَكَةِ فِي الْأَلَامِ وَالْأَمَالِ، وَمِنْ قَائِلٍ غَيْرِ ذَلِكَ.

أَمَّا الدِّينُ، فَلَيْسَ مِنْ عَنَاصِرِهَا عِنْدَ أَصَاطِينِهِمْ وَالصُّرَحَاءِ مِنْهُمْ، وَقَدْ صَرَّحَ كَثِيرٌ بِأَنَّ الدِّينَ لَا دَخَلَ لَهُ فِي الْقَوْمِيَّةِ، وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا تَحْتَرُمُ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ، وَهَدَفَهَا كَمَا يَعْلَمُ مِنْ كَلَامِهِمْ هُوَ التَّكْتُلُ، وَالتَّجْمُعُ، وَالتَّكَاتُفُ ضِدَّ الْأَعْدَاءِ، وَلِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ الْمُشْتَرَكَةِ كَمَا سَلَفَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا غَرَضٌ نَبِيلٌ، وَقَصْدٌ جَمِيلٌ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْهَدَفُ، فَفِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَثِّ عَلَى ذَلِكَ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ،

وإِجَابِ التَّكَاتُفِ والتَّعَاوُنِ لِنَصْرِ الْإِسْلَامِ، وَحِمَايَتِهِ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَلِتَخْصِيلِ الْمَصَالِحِ الْمُشْتَرَكَةِ، مَا هُوَ أَكْمَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا يُرْتَجَى مِنْ وَرَاءِ الْقَوْمِيَّةِ.

ومَغْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي لُبٍّ سَلِيمٍ أَنَّ التَّكَاتُفَ والتَّعَاوُنَ الَّذِي مَصْدَرُهُ الْقُلُوبُ، وَالْإِيمَانُ بِصِحَّةِ الْهَدَفِ، وَسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ فِي الْحَيَاةِ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ - كَمَا فِي الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ - أَعْظَمُ مِنَ التَّعَاوُنِ والتَّكَاتُفِ عَلَى أَمْرِ اخْتَرَعَهُ الْبَشَرُ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِ وَحْيُ السَّمَاءِ، وَلَا تُؤْمَنُ عَاقِبَتُهُ، لَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

وَأَيْضًا، فَالتَّكَاتُفُ والتَّعَاوُنُ الصَّادِرُ عَنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ، وَصِدْقٍ فِي مُعَامَلَتِهِ وَمُعَامَلَةِ عِبَادِهِ، مَضْمُونٌ لَهُ النَّصْرُ، وَحُسْنُ الْعَاقِبَةِ - كَمَا فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ الَّتِي أَسْلَفْنَا ذَكَرَهَا - بِخِلَافِ التَّكَاتُفِ والتَّعَاوُنِ الْمَبْنِيِّ عَلَى فِكْرَةِ جَاهِلِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ، لَمْ يَأْتِ بِهَا شَرِيعٌ، وَلَمْ يَضْمَنْ لَهَا النَّصْرَ.

وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ لِدُعَاةِ الْقَوْمِيَّةِ، وَالرَّغْبَةِ فِي إِیْضَاحِ الْحَقَائِقِ لَطَالِبِ الْحَقِّ، وَلَا فَمَنْ خَبَرَ أَحْوَالَ الْقَوْمِيِّينَ، وَتَدَبَّرَ مَقَالَاتِهِمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، عَرَفَ أَنَّ غَرَضَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ، أُمُورٌ أُخْرَى يَعْرِفُهَا مَنْ لَهُ أَدْنَى بَصِيرَةٍ بِالْوَاقِعِ وَأَحْوَالِ الْمُجْتَمَعِ.

وَمِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ: فَضْلُ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، وَإِقْصَاءُ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ عَنِ الْمُجْتَمَعِ، وَالْإِعْتِيَاظُ عَنْهَا بِقَوَانِينِ وَضْعِيَّةٍ مُتْلَفَقَةٍ مِنْ قَوَانِينِ شَتَّى، وَإِطْلَاقُ الْحُرِّيَّةِ لِلزَّرْعَاتِ الْجِنْسِيَّةِ، وَالْمَذَاهِبِ الْهَدَّامَةِ، لَا بَلَّغُهُمُ اللَّهَ مِنْهُمْ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ دَعْوَةَ تَنْفِضِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَاتِ، يَرْقِصُ لَهَا الْإِسْتِعْمَارُ طَرَبًا، وَيُسَاعِدُ عَلَى وُجُودِهَا، وَرَفَعَ مُسْتَوَاهَا - وَإِنْ تَظَاهَرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ - تَغْرِيرًا

لِلْعَرَبِ عَنْ دِينِهِمْ، وَتَشْجِيعًا لَهُمْ عَلَى الْاِشْتِغَالِ بِقَوْمِيَّتِهِمْ، وَالِدُّعَاةُ إِلَيْهَا،
وَالِإِعْرَاضُ عَنْ دِينِهِمْ .

وَمَنْ زَعَمَ مِنْ دُعَاةِ الْقَوْمِيَّةِ أَنَّ الدِّينَ مِنْ عَنَاصِرِهَا، فَقَدْ فَرَضَ أَخْطَاءَ عَلَى
الْقَوْمِيِّينَ، وَقَالَ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقُولُوا؛ لِأَنَّ الدِّينَ يُخَالِفُ أُسُسَهُمُ الَّتِي بَنَوْا الْقَوْمِيَّةَ
عَلَيْهَا، وَيُخَالِفُ صَرِيحَ كَلَامِهِمْ، وَيُبَايِنُ مَا يَقْصِدُونَهُ مِنْ تَكْتِيلِ الْعَرَبِ عَلَى
اِخْتِلَافِ أَذْيَانِهِمْ تَحْتَ رَايَةِ الْقَوْمِيَّةِ.

وَلِهَذَا، تَجِدُ مَنْ يَجْعَلُ الدِّينَ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَوْمِيَّةِ يَتَنَاقَضُ فِي كَلَامِهِ، فَيُثْبِتُهُ
تَارَةً، وَيُنْفِيهِ أُخْرَى، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْلُهُ عَنْ عَقِيدَةٍ وَإِيمَانٍ، وَإِنَّمَا قَالَهُ
مُجَامِلَةً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَوْ عَنْ جَهْلِ بِحَقِيقَةِ الْقَوْمِيَّةِ وَهَدَفِهَا، وَهَكَذَا قَوْلُ مَنْ
قَالَ: إِنَّهَا تَخْدُمُ الْإِسْلَامَ أَوْ تُسَانِدُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا
الْحَقِيقَةُ أَنَّهَا تُنَافِسُ الْإِسْلَامَ، وَتُحَارِبُهُ فِي عَقْرِ دَارِهِ، وَتُطْلِي بَعْضَ خَصَائِصِهِ
تَرْوِجًا لَهَا، وَتَلْبِيسًا، أَوْ جَهْلًا وَتَقْلِيدًا.

وَلَوْ كَانَتْ الدُّعَاةُ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ يُرَادُ مِنْهَا نَصْرُ الْإِسْلَامِ، وَحِمَايَةُ شَعَائِرِهِ،
لَكَرَّسَ الْقَوْمِيُّونَ جُهْدَهُمْ فِي الدُّعَاةِ إِلَيْهِ وَمُنَاصَرَتِهِ، وَتَحْكِيمِ دُسْتُورِهِ النَّازِلِ مِنْ
فَوْفِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَلِبَادَرُوا إِلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ،
وَابْتَعَدُوا عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُهُ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الْأَصِيلُ، وَالْهَدَفُ الْأَعْظَمُ، وَلِأَنَّهُ
السَّبِيلُ الَّذِي مَنْ سَارَ عَلَيْهِ، وَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ، وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ، وَفَارَّ
بِالْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَمَنْ حَادَّ عَنْ سَبِيلِهِ، بَاءَ بِالْخِيْبَةِ وَالنَّدَامَةِ، وَخَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ.

فَلَوْ كَانَ دُعَاةُ الْقَوْمِيَّةِ يَقْصِدُونَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَيْهَا تَعْظِيمَ الْإِسْلَامِ وَخِدْمَتَهُ،

وَرَفَعَ شَأْنِهِ، لَمَّا اقْتَصَرُوا عَلَى الدَّعْوَةِ لِلْخَادِمِ دُونَ الْمَخْدُومِ، وَكَرَّسُوا لِهَذَا الْخَادِمِ جُهُودَهُمْ، وَغَضَبُوا مِنْ صَوْتِ دُعَاةِ الْإِسْلَامِ إِذَا دَعَوْا إِلَيْهِ، وَحَذَرُوا مِمَّا يُخَالِفُهُ، أَوْ يَقِفُ حَجَرًا فِي طَرِيقِهِ.

لَوْ كَانَ دُعَاةُ الْقَوْمِيَّةِ يُرِيدُونَ بِدَعْوَتِهِمْ إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَاجْتِمَاعَ الْعَرَبِ عَلَيْهِ، لَنَصَحُوا الْعَرَبَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى التَّمَسُّكِ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَتَنْفِذِ أَحْكَامِهِ، وَلَشَجَّعُوهُمْ عَلَى نَصْرِهِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَوْلَى النَّاسِ بِأَنْ يَنْصُرُوا الْإِسْلَامَ، وَيَحْمُوهُ مِنْ مَكَائِدِ الْأَعْدَاءِ، وَيُحْكِمُوهُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، كَمَا فَعَلَ أَسْلَافُهُمْ؛ لِأَنَّهُ عِزُّهُمْ وَذِكْرُهُمْ وَمَجْدُهُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وَقَالَ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٣] وَلِأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤].

وَإِذَا عَرَفْتَ - أَيُّهَا الْقَارِئُ - مَا تَقَدَّمَ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ (أَعْنِي: الدَّعْوَةَ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ) أَحَدُهَا الْغَرِيبُونَ مِنَ النَّصَارَى لِمُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، بَزُخْرِفٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيَالِ، وَأَسَالِيبٍ مِنَ الْخِدَاعِ، فَاعْتَنَقَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَاعْتَرَّتْ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَغْمَارِ، وَمَنْ قَلَّدَهُمْ مِنَ الْجُهَّالِ، وَفَرِحَ بِذَلِكَ أَرْبَابُ الْإِلْحَادِ، وَخُصُومُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالضَّرُورَةِ: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْقَوْمِيَّاتِ، دَعْوَةٌ بَاطِلَةٌ، وَخَطَأٌ عَظِيمٌ، وَمَنْكَرٌ ظَاهِرٌ...».

إِلَى أَنْ قَالَ سَمَّاهُ ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ نَهَى عَنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَذَّرَ مِنْهَا، وَأَبْدَى فِي ذَلِكَ وَأَعَادَ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ، بَلْ قَدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ تَنْهَى عَنْ جَمِيعِ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَعْمَالِهِمْ إِلَّا مَا أَقَرَّهُ الْإِسْلَامُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا دَعْوَةٌ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَمُنَاصَرَةَ لِغَيْرِ الْحَقِّ، وَكَمْ جَرَّتِ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ وِيلَاتٍ وَخُرُوبٍ طَاحِنَةٍ، وَقُودُهَا النَّفُوسُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ، وَعَاقِبَتُهَا تَمْزِيقُ الشَّمْلِ، وَغَرَسُ الْعَدَاوَةِ وَالشَّحْنَاءِ فِي الْقُلُوبِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ﷺ: «كُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَى الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ نَسَبٍ، أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ، أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ، فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنْصَارِيٌّ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ!»، وَغَضِبَ لَذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا»^(١). انْتَهَى^(٢).

وَمِمَّا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷻ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٣٢٨، ٣٢٩).

[الفتح: ٢٦].

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ»^(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

وَلَا رَيْبَ أَنَّ دُعَاةَ الْقَوْمِيَّةِ يَدْعُونَ إِلَى عَصِيَّةٍ، وَيَغْضَبُونَ لِعَصِيَّةٍ، وَيُقَاتِلُونَ عَلَى عَصِيَّةٍ.

وَلَا رَيْبَ أَيْضًا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ تَدْعُو إِلَى الْبَغْيِ وَالْفَخْرِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمِيَّةَ لَيْسَتْ دِينًا سَمَاقِيًا يَمْنَعُ أَهْلَهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَخْرِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِكْرَةٌ جَاهِلِيَّةٌ تَحْمِلُ أَهْلَهَا عَلَى الْفَخْرِ بِهَا، وَالتَّعَصُّبِ لَهَا عَلَى مَنْ نَالَهَا بِشَيْءٍ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةَ، وَغَيْرَهَا الْمَظْلُومَ، فَتَأْمَلُ -أَيُّهَا الْقَارِئُ- ذَلِكَ، يَظْهَرُ لَكَ وَجْهُ الْحَقِّ.

وَمِنَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ نَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥١٢١) مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ» (١٠٩٥).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥) مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٥١١٦)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (٤٨٩٩).

وَهَذَا الْحَدِيثُ يُوَافِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَلَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ جَعَلَ النَّاسَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفَ، لَا لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّعَاطُفِ، وَجَعَلَ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَهُ هُوَ أَتْقَاهُمْ، وَهَكَذَا يَدُلُّ الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَيُرْشِدُ إِلَى سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ (التَّكْبَرِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَسْلَافِ وَالْأَحْسَابِ)، وَالْإِسْلَامُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، يَدْعُو إِلَى التَّوَاضُّعِ، وَالتَّقْوَى، وَالتَّحَابِّ فِي اللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ الصَّادِقُونَ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ، جَسَدًا وَاحِدًا، وَبِنَاءً وَاحِدًا يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَأْلَمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(١).

وَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ - مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ»^(٢).

فَأَنْشُدَكَ بِاللَّهِ - أَيُّهَا الْقَوْمِيُّ - هَلْ قَوْمِيَّتُكَ تَدْعُو إِلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، مِنَ الرَّحْمَةِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّأَلُّمِ لِأَلَامِهِمْ؟ لَا وَاللَّهِ، وَإِنَّمَا تَدْعُو إِلَى مُوَالَاةٍ مَنِ انْخَرَطَ فِي سِلْكِيهَا، وَنَضَبِ الْعَدَاوَةِ لِمَنْ تَنَكَّرَ لَهَا.

فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الرَّاعِبُ فِي النَّجَاةِ، وَانْظُرْ إِلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ بِمِرَاةِ الْعَدَالَةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

والتَّجَرُّدُ مِنَ التَّعَصُّبِ وَالْهَوَى، حَتَّى تَرَى الْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، أُرْسِدَنِي
اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى أَسْبَابِ النِّجَاةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ غُلَامًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامًا مِنَ
الْأَنْصَارِ تَنَازَعَا، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ!
فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَبَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةُ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ!»^(١).

فَإِذَا كَانَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَاسْتَنْصَرَ بِهِمْ عَلَى إِخْوَانِهِمْ فِي
الدِّينِ، أَوْ إِلَى الْأَنْصَارِ، وَاسْتَنْصَرَ بِهِمْ عَلَى إِخْوَانِهِمْ فِي الدِّينِ يَكُونُ قَدْ دَعَا
بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، مَعَ كَوْنِهِمَا اسْمَيْنِ مَحْبُوبَيْنِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى
أَهْلِهِمَا ثَنَاءً عَظِيمًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيْفُوتُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الْآيَةَ،
فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ، وَاسْتَنْصَرَ بِهَا، وَغَضِبَ لَهَا؟ أَفَلَا
يَكُونُ أَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ قَدْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ
أَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الْحَارِثِ الْأَسْعَرِيِّ: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخُمْسٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ...»، فَذَكَرَهَا.

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَمَرْتُكُمْ بِخُمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ،
وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الإسلام مِنْ عُنْفِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟

قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»^(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ مِنْ أَوْضَحِ الْأَحَادِيثِ وَأَبْيَنَهَا فِي إِبْطَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْقَوْمِيَّةِ، وَاعْتِبَارِهَا دَعْوَةً جَاهِلِيَّةً، يَسْتَحَقُّ دُعَاتُهَا أَنْ يَكُونُوا مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ، وَإِنْ صَامُوا وَصَلُّوا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

فَيَا لَهُ مِنْ وَعِيدٍ شَدِيدٍ! وَتَحْذِيرٍ يُنْذِرُ كُلَّ مُسْلِمٍ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالرُّكُونِ إِلَى مُعْتَنِقِيهَا، وَإِنْ زَخَرَفُوهَا بِالْمَقَالَاتِ السَّحَرِيَّةِ، وَالخُطَبِ الرَّثَائَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَلَا شَاهِدَ لَهَا مِنَ الْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا هُوَ التَّلْيِيسُ، وَالْخِدَاعُ، وَالتَّقْلِيدُ الْأَعْمَى الَّذِي يَنْتَهِي بِأَهْلِهِ إِلَى أَسْوَى الْعَوَاقِبِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ...».



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٠٢) (١٧٨٣٣)، والترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٥٢).

فتوى للمفتي العام للمملكة وكبار العلماء

المُفتي العام وكِبار العلماء لـ «عكاظ»:

العَصَبِيَّات القَبَلِيَّة تُدَمِّرُ الأوطان، ومُثِيرُوها لَيْسُوا مِنَّا.

حَذَّرَ الْمُفْتِي وَأَعْضَاءُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ مِنْ إِثَارَةِ النَّعْرَاتِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا، وَاصْفِيْنَهَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تُؤَثِّرُ عَلَى وَحْدَةِ الْوَطَنِ، مُؤَكِّدِينَ أَنَّ إِثَارَةَ النَّعْرَاتِ مُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ، وَلِأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ، مُشِيرِينَ إِلَى أَنَّ إِثَارَةَ هَذِهِ النَّعْرَاتِ سَبَبٌ فِي تَفْقِيتِ الْمُجْتَمَعِ وَتَذْمِيرِهِ.

وَقَالَ مُفْتِي عَامِ الْمَمْلَكَةِ، وَرئيسُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَرئيسُ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلإِفْتَاءِ وَالْبُحُوثِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ آلُ الشَّيْخِ: «إِنَّا -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- فِي بِلَادِنَا نَتَمَتَّعُ بِالْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا نُعَانِي مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ، فَلَقَدْ وَحَّدَ الْمَلِكُ عَبْدُ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ، وَرَبَطَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، فَنَحْنُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ تَخْدُمُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ، وَتَحْتَ قِيَادَةِ مُوَفَّقَةٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَهَا التَّوْفِيقَ».

وَأَشَارَ الْمُفْتِي إِلَى أَنَّ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْعَصَبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ، فَهُوَ أَمْرٌ خَاطِئٌ، وَدَعْوَى جَاهِلِيَّةٌ لَا مَقَامَ لَهَا فِي بِلَادِنَا، وَالْإِسْلَامُ بَدَدَ ذَلِكَ، وَحَذَّرَ مِنْهُ.

وَاعْتَبَرَ عُضُو هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْتَشَارِ فِي الدِّيَوَانِ الْمَلِكِيِّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ

بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَنِيعِ، أَنَّ فَعَالِيَّاتٍ وَمُسَابَقَاتٍ تُثِيرُ النَّعْرَاتِ، هِيَ مِنَ الْبِدْعِ الضَّالَّةِ،
وَأَكَّدَ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَنْسَاقَ وَرَاءَ هَذَا النَّوعِ مِنَ السَّبَاقَاتِ مَشْمُولٌ بِصِفَاتِ «التَّبْذِيرِ
وَالْإِسْرَافِ»، وَكَذَلِكَ التَّغْرِيرُ بِسُطَاءِ الْعُقُولِ.

وَأَكَّدَ الْمَنِيعُ فِي فَتْوَى أُصْدَرَهَا بِذَلِكَ، أَنَّ هَذَا التَّفَاخَرَ مِمَّا كَانَ لَدَى الْجَاهِلِيَّةِ
مِنْ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ الْبَالِيَةِ الْمُنَافِيَةِ مَعَ مَبَادِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (وَمِنْ ذَلِكَ:
الْعَدْلُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَالبُعْدُ عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ)، مُذَكِّرًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْمَالِ
وَحِفْظِهِ: ﴿وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النِّسَاءُ: ٥].

وَأَشَارَ الْمَنِيعُ إِلَى أَنَّ مَشَايِخَ الْقَبَائِلِ حِينَمَا يَلْزُمُونَ أَفْرَادَهُمْ بِمَبَالِغٍ يُنْفِقُونَهَا
لِلدُّخُولِ فِي هَذَا التَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي، يُعْتَبَرُونَ ظَالِمِينَ لِإِخْوَانِهِمْ، وَإِخْوَانًا
لِلشَّيَاطِينِ مِنْ حَيْثُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَاللَّهُ ﷻ غَيُورٌ عَلَى حُدُودِهِ وَنِعَمِهِ، وَلَا
شَكَّ أَنَّ الْمُتَجَاوِزِينَ لِهَذِهِ الْحُدُودِ، وَالْكَافِرِينَ بِنِعْمِ اللَّهِ، جَدِيدُونَ بِغَضَبِ
الرَّحْمَنِ، سَائِلًا الْمَوْلَى ﷺ أَنْ يُعِيدَ أَهْلَ هَذَا التَّصَرُّفِ الْآثِمِ إِلَى رُشْدِهِمْ.

وَيُؤَكِّدُ الْمُسْتَشَارُ فِي الدِّيَوَانِ الْمَلَكِيِّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْمُحْسَنِ الْعُبَيْكَانَ أَنَّ
الْإِسْلَامَ جَاءَ بِالْقَضَاءِ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةً، وَجَعَلَ
التَّرَابُطَ بَيْنَهُمْ بِالْذِّينِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْأُلْفَةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالاجْتِمَاعِ، وَعَدَمَ التَّفَرُّقِ
وَالنِّزَاعِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آلْ عِمْرَانُ: ١٠٣].

مُشَدِّدًا عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ، وَالْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ شَدَّدَتْ عَلَى إِبْطَالِ مَا
كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ نَعْرَاتٍ وَعَصَبِيَّاتٍ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةً يَتَرَاحَمُونَ

وَيَتَعَاطِفُونَ «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

وَدَعَا كُلَّ الْجِهَاتِ التَّوَعُّوِيَّةِ بِضُرُورَةٍ أَنْ تُمَارَسَ دَوْرَهَا بِعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى هَذِهِ الْعَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تُؤَثِّرُ عَلَى وَحْدَةِ الْوَطَنِ، وَأَمْنِهِ، وَأَمَانِهِ.
وَخَلَصَ الْعُبَيْكَانُ إِلَى أَنَّ مَنْ يُبَيِّرُ النَّعْرَاتِ آثَمَ وَمُفْسِدٌ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْعُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، مُوكِّدًا أَنَّ الْقَضَاءَ يَفْتَقِصُ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ لِيَتَعَرَّضَ لَهُمُ لِلْوَطَنِ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ.

الجمعة ٢١/٠١/١٤٣٣ هـ، ١٦ ديسمبر ٢٠١١ م، العدد: ٣٨٣٤



(١) البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فتويان لفضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

سُئِلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ سَوْالاً جَاءَ فِيهِ:

«يَرَى الْبَعْضُ أَنَّ التَّفَاخَرَ بِالْأَنْسَابِ شَيْءٌ مَحْمُودٌ، وَيَسْتَدِلُّونَ لَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاضْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاضْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(١)؛ فَمَا رَأَيْكُمْ فِي ذَلِكَ ؟ أَفْتُونَا مَا جُورِينْ».

فَأَجَابَ فَضِيلَتُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

«رَأَيْي فِي ذَلِكَ أَنَّ التَّفَاخَرَ بِالْأَنْسَابِ مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ تَبَرَّأَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فَالْمُرَادُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَبِيِّينَ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٥)، وأحمد في «مسنده» (١٠٧/٤) (١٧٠٢٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٣١) من حديث وائلة بن الأسقع رَحِمَهُ اللهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٢).

الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رِبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢]؛ فَهَذَا فَقِيرٌ، وَهَذَا غَنِيٌّ، وَهَذَا صَحِيحٌ، وَهَذَا مَرِيضٌ، وَهَذَا قَوِيٌّ، وَهَذَا ضَعِيفٌ ... إِلَى آخِرِهِ.. هَذَا الْمُرَادُ.

أَمَّا التَّفَاخُرُ بِالْأَنْسَابِ، فَهُوَ مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ تَبَرَّأَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ فَاعِلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]؛ لِتَعَارَفُوا، لَا لِتَفَاخَرُوا!!.

صَحِيفَةُ عُكَاظ، بِتَارِيخِ الْجُمُعَةِ ٢١/١/١٤٣٣ هـ، ١٦ دِيسَمْبَر ٢٠١١م - عَدَد (٢٨٣٤).

وَسُئِلَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا حُكْمُ مَنْ يَمْنَعُ ابْنَتَهُ مِنَ الْكُفَاءِ الْمُتَقَدِّمِ لَهَا بِحُجَّةٍ أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ خَضِيرِيٌّ، وَهُوَ قَبِيلِيٌّ، وَإِذَا تُوقِشَ فِي ذَلِكَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ النَّاسَ دَرَجَاتٍ، وَالْخَضِيرِيُّ لَيْسَ لَهُ أَضَلُّ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا».

فَأَجَابَ فَضِيلَتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «الْوَاقِعُ أَنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى النَّسَبِ فِي مَسْأَلَةِ النِّكَاحِ، وَإِنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ تَزْوِيجِ

المرأة القبليّة برجلٍ غير قبليّ، لكنّ الذي ينبغي للإنسان أن ينظر إلى الدّين والخلُق؛ لقول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «إِذَا آتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»^(١).

هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يُلَاحِظُهُ، وَأَمَّا مَسْأَلَةُ النَّسَبِ (قبليّ أو خضيري)؛ فَهَذَا أَمْرٌ ثَانَوِيٌّ، وَالَّذِي أَرَى مَا ذَكَرْتُهُ الْآنَ أَنْ يُعْتَمَدَ فِي هَذَا الدِّينِ وَالْخُلُقِ، فَإِذَا كَانَ الْخَاطِبُ ذَا دِينٍ وَخُلُقٍ فَلْيُزَوِّجْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَبِيلِيًّا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ، فَهَذَا لَا شَكَّ مِنْهُ وَاقِعٌ، فَإِنَّ اللَّهَ رَفَعَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ فِي الْعِلْمِ، فِي الدِّينِ، فِي الْحِكْمَةِ، فِي الْعَقْلِ، فِي الْأَجْسَامِ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَلَكِنْ لَا يَعْْنِي هَذَا أَنْ تَمْنَعُ الْكُفَّاءَ الْخَاطِبَ مِنْ أَنْ تُزَوِّجَهُ لِكُونِهِ غَيْرَ قَبِيلِيٍّ، وَكَوْنِ الْمَرْأَةِ قَبِيلِيَّةً، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي الرَّجُوعَ إِلَيْهَا، وَأَمَّا قَوْلُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا»، فَهَذَا حَقِيقَةٌ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا مِمَّا يُرِيدُهُ النَّاسُ،

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، وهو مرسل له، وشاهد عند الترمذي (١٠٨٥) عن أبي حاتم المزني، وحسنه الألباني في «مختصر إرواء الغليل» (١٨٦٨).

لكن هل هذا مما يُريده الشرع؟

قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ: «فَاطْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (١) (٢).



(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية» (ص ٥٣١، ٥٣٢).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

التحذير من ضرر العطبيات وأثرها السيئ على المجتمع

٥.....	مقدمة الناشر
١٧.....	المقدمة
٢٢.....	○ خطورة الطعن في الأنساب
٢٨.....	○ الطعن في الأنساب كبيرة
٢٩.....	○ الطعن في الأنساب غيبة
٣١.....	○ الطعن في الأنساب مدعاة للتباغض والتدابير
٣٩.....	○ وقفة مهمة
٤١.....	○ الحياة في ظل العصبية الجاهلية
٤٧.....	الخاتمة

كلام وفتاوى العلماء

فِي الْعَصَبِيَّاتِ

- «نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع»..... ٥١
- فتوى للمفتي العام للمملكة وكبار العلماء..... ٦١
- فتويان لفضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ..... ٦٤
- فهرس الموضوعات..... ٧١





الكتبة: ٨١ ش الهدي الحمدي - احمد عرابي - عين شمس

جوال : ٠٠٢٠١٣٨٨٨٨٤٠٨١

٠٠٢٠١٣٨٨٨٨٤١١٣ - ٠٠٢٠١٣٨٨٨٨٤٠٧٨

E-mail: daralmenhaj@hotmail.com
E-mail: daralminhaj@yahoo.com